|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| الوصف: logo.png | **الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية**  **وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**  **جامعة غرداية**  **كلية الآداب واللغات**  **قسم اللغة والأدب العربي** | **الوصف: logo.png** |

**الالتزام عند عبد الرحمان العشماوي**

**ديوان "القدس أنت" أنموذجا مقاربة موضوعاتية**

**القضية الفلسطينية موضوعاتها وطبيعتها**

**مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي**

**تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر**

|  |  |
| --- | --- |
| **من إعداد الطالب:**   * **زعلاني فاتح** | **إشراف:**  **د. سمير عبد المالك** |

**السنة الجامعية: 1441ه/ 2019 ـ 2020م**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **الوصف: logo.png** | **الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية**  **وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**  **جامعة غرداية**  **كلية الآداب واللغات**  **قسم اللغة والأدب العربي** | **الوصف: logo.png** |

**الالتزام عند عبد الرحمان العشماوي**

**ديوان "القدس أنت" أنموذجا مقاربة موضوعاتية**

**القضية الفلسطينية موضوعاتها وطبيعتها**

**مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي**

**تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر**

|  |  |
| --- | --- |
| **من إعداد الطالب:**   * **زعلاني فاتح** | **إشراف:**  **الأستاذسمير عبد المالك** |

|  |  |
| --- | --- |
| **الأستاذ:**  **الأستاذ:**  **الأستاذ:** | **رئيسا**  **مشرِفًا ومقررا**  **مناقشا** |

**السنة الجامعية: 1441ه/ 2019 ـ 2020م**

**قائمة الرموز المستعملة:**

|  |  |
| --- | --- |
| **المصدر سابق أو المرجع سابق** | **م س** |
| **المصدر نفسه أو المرجع نفسه** | **م ن** |
| **الطبعة** | **ط** |
| **ترجمة** | **تر** |

**الملخص:**

ظلت فلسطين القضية التي تجمع العرب والمسلمين والكثير من أحرار العالم طيلة عقود رغم ما تتعرض له من محاولات تهدف إلى تصفيتها نهائيا وتشويهها وطمسها داخل الوعي الجمعي. ويعد الشاعر عبد الرحمن العشماوي من بين الشعراء الذين تبنوا هذه القضية أدبيا والتزموا بالدفاع عنها. حيث خصص لها دواوين كثيرة من بينها ديوان القدس أنت الذي تناول فيه مواضيع القدس والمسجد الأقصى وجرائم الكيان الصهيوني ومقاومة الفلسطينيين مبرزا مواقفه بوضوح من الأحداث المستجدة على الساحة كمحاولة خلق مناخ طبيعي من العلاقات السياسية والاقتصادية مع الكيان الصهيوني منطلقا في ذلك من بيئته الدينية والاجتماعية مما أضفى الطبيعة العقادية على صورة فلسطين في هذا الديوان.

**Summary**

For decades, Palestine has been the cause that brought together the arabs, muslims and many free men despite the unfailing attempts that aim at its liquidation, distortion, and suppression within the collective consciousness. Abd Errahman Elashmaoui is considered as one of the prominent poets who adopted this cause and commited themselves to defend it. He devoted for it many of his poetry collections including Elkuds Anti in which he addressed different issues related to Jerusalem, ElAksa Mosque and the crimes of the Zionists and the resistance of Palestinians. He overtly reveals his attitude vis-à-vis the latest events like the normalization of political and economic relationships with the Zionists. To achieve this he draws from his religious and social background conferring a doctrinal trait on the image of Palestine in his works.

**مقدمة:**

بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محـمد وعلى آل بيته الطاهرين، وارضَ اللَّهم عن الصحابة أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بجودك وكرمك يا أرحم الراحمين، أمّا بعد:

تُعدّ القضية الفلسطينية من أقدم وأعقد القضايا التي عرفها العصر الحديث، ولـمّـا كان الأدب عموما والشعر خصوصا من أرقى الوسائل التي عبّر بها الإنسان عن حاجياته وآلامه وآماله وأحاسيسه تُجاه ما يعيشه من تفاصيل في هذه الحياة، فإنّ من الطّبيعي أن يلجأ الكُتّاب والشعراء إلى تصوير هذه القضية تصويرا جماليا محاولين التفكير فيها أدبيا.

إن ربط الأدب كقيمة جمالية فنية بالمضمون الفكري المعنوي يحيلنا حتما إلى مصطلح الالتزام الذي يمثل المزج بين الفكر والجمال، والذي عرفه الأدب منذ القديم، فهذا التمازج الغريب بين الجمال والفكر هو ما يحقق وما يجعل الأدب هادفا ويتيح له نشر الوعي وهذا هو الدافع الرئيس للبحث في هذا المجال أضف إلى ذلك ما تتعرض له القضية الفلسطينية من مؤامرات ودسائس بهدف تصفيتها نهائيا وقد شجعتنا تجربة العشماوي الشعرية التي حملت على عاتقها تصوير قضايا الأمة وبالأخص القضية الفلسطينية على اختيار هذا الموضوع الذي يحمل عنوان:

**الالتزام عند عبد الرحمان العشماوي ديوان "القدس أنت" أنموذجا، مقاربة موضوعاتية القضية الفلسطينية موضوعاتها وطبيعتها**

إنّ البحث في هذا الموضوع من شأنه أن يسلّط الضوء على الأدب الهادف الذي يمزج الجمال بالوعي والذي يتصدّى لتصوير قضايا الإنسان، ومحاولة منّا لإعادة الزخم والحضور للقضية الفلسطينية التي نالها ما نالها من أسباب الطّمس والتغييب وتزييف الحقائق بصفتها قضية إنسانية عادلة، وتلك هي الاهداف التي نرجو تحقيقها من خلال بحثنا هذا، وقد حاولنا في هذا البحث الإجابة عن الأسئلة التّالية: ما هو مفهوم الالتزام؟ ما موقف النقاد منه؟ وكيف تجلّت مظاهره في الشعر العربي؟. ومن ثَمّ وضعنا الإشكال الرئيس والمتمثل في: ما هي موضوعات القضية الفلسطينية وكيف تجلت وطبيعتها في ديوان "القدس أنت" للشاعر عبد الرحمان العشماوي؟.

وقد اتبعنا في بحثنا هذا خطة بدأناها **بتمهيد** يسلّط الضّوء على علاقة الفكر بالأدب ووظيفة هذا الأخير وما مدى اتّصاله بالحياة الإنسانية، يليه **المبحث الأوّل:** حيث عالجنا موضوع الالتزام في الأدب وأهمّ النّظريات وآراء النقاد الغربيين والعرب بهذا الصدد وبعد لمحة عن الالتزام في الشعر العربي تطرقنا إلى حياة الشاعر عبد الرحمان العشماوي وخلفيته الفكرية، وعلى العموم يعتبر المبحث الأول نافذة للولوج إلى القسم التطبيقي الذي يتكون من **المبحث الثاني بمطالبه الثلاثة:** التي تعالج أهمّ مواضيع القضية الفلسطينية التي احتواها ديوان "القدس أنت" وقد مثل **المبحث الثالث والأخير بمطالبه الخمسة:** طبيعة القضية الفلسطينية وتجلياتها في هذا الديوان، وفي الأخير ألحقنا كل ذلك **بخاتمة:** تضمنت كل النتائج التي توصلنا إليها.

وقد اتبعنا في ذلك المنهج الموضوعاتي الذي يربط بين الموضوعات وبين خلفياتها التاريخية والدينية والسياسية.

واعتمدنا في إنجاز هذا البحث خصوصا في مجال التنظير على مجموعة من الدراسات أبرزها: **"ما الأدب؟"** لجون بول سارتر، **"وفلسفة الالتزام"** لرجاء عيد، **"وقيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر"** لعائشة عبد الرحمن، أما في مجال التطبيق فقد اعتمدنا على دراسات سابقة أهمها رسالة ماجستير بعنوان **"الالتزام في الشعر الإسلامي الفلسطيني المعاصر"** للطالب جواد إسماعيل عبد الله الهشيم.

وخلال انجاز لهذا البحث اعترضتنا صعوبات ظرفية كإغلاق المكاتب الجامعية بسبب الوباء المستجد مما شكل حاجزا حال بيننا وبين الوصول إلى المراجع الورقية وقد وجدنا مراجع إلكترونية كثيرة ومن المعروف أنّ كثرة المراجع تشكل صعوبة من نوع آخر.

**شكر وعرفان:**

قبل أن نطوي أوراق المقدمة لا ننسى أن نجدد كلمات الشكر والعرفان للأستاذ المشرف:

**أ/** سمير عبد المالك الذي أنار لنا الدروب المظلمة التي صادفتنا في مختلف مراحل هذا البحث بنصائحه وتوجيهاته القيمة.

**تـمــهيــــد**

**تمهيد:**

حاول النُّقّادُ منذُ ظُهور الأدب الوقوف على ماهيته وحقيقته، وارتباطه بالحياة والواقع المعيش، ومدى تأثير هذا الارتباط على العلاقة التي تجمع بين شكله الفني الجمالي ومضمونه الفكري المعنوي، وإذا كان الأدب يعبّر في غالبه عن موقف خاص من قضية ما ولا ينحصرُ في القيمة الفنية في ذاتها وذلك باعتباره عملا يهدف إلى التّأثير على المتلقي فإنّ للكاتب رسالة تتمثّل في الكشف عن مواقفه بكلّ وضوح، ودون أي لبس، وهذا الكشف الواضح لا ينقص بتاتا من القيمة الفنية للعمل الأدبي، باعتباره عملا إيحائيا ([[1]](#footnote-1)).

وعليه فإنّ كلّ عمل أدبي يتضمّن بالضّرورة رأيا أو حكما أو موقفا مهما كان نوعُ ذلك العمل (وجدانيا، أو انطباعيا، أو سرياليا، أو واقعيا، ...إلى غير ذلك من مدارس الأدب).([[2]](#footnote-2))

وحتى الأدب الذي يجهدُ في الهروب من تحديد موقف فهو يعبّر بحدّ ذاته عن موقف اللاّمنتمي([[3]](#footnote-3)).

إذا سلّمنا أنّ الكاتب لا ينطلقُ في كتابته من فراغ ولا يكتب لذاته فقط، وإنّما يوجّهُ كتابته إلى جمهور القُرَّاء الذين تجمعهم ميولات وروابط مختلفة: اجتماعية، اقتصادية سياسية عقدية، ...أو حتى إنسانية.

إذا استطاع الكاتب أن يعبّر عن هذه الميولات تعبيرًا أدبيا متواصلا جاز لنا أن نطلق عليه الكاتب الملتزم، ومن ثمّ يحقُّ لنا التّساؤل ما معنى الالتزام؟ ومتى ظهر؟ وكيف أثَّر على الأدب بوجه عام؟

**المبحث الأول: الالتزام**

**تمهيد**

**المطلب الأول: تعريف الالتزام**

**المطلب الثاني: الالتزام و النظريات النقدية**

**المطلب الثالث: بين الإلزام والالتزام**

**المطلب الرابع: الالتزام في الشّعر العربي**

**المطلب الخامس: الالتزام و الإلزام في النّقد العربي**

**المطلب السادس: الالتزام عند الشاعر عبد الرحمان العشماوي**

**المبحث الأول: الالتزام**

**المطلب الأول: تعريف الالتزام**

الالتزامُ لغةً: جاء في لسان العرب:

لزم، يلزمُ: الرّجل يلزم الشيء فلا يفارقهُ([[4]](#footnote-4)).

وقد ورد عن صاحب الظّلال في تفسير قوله تعالى في سورة الإسراء الآية 13 : **﴿ ﴾**، إنّ طائر كلِّ إنسان هو ما يقسمُ له من عمله، وهو كناية عن ما يعملُه، وإلزامه له في عنُقه تصوير للزومه إيّاه وعدم مفارقته([[5]](#footnote-5)).

الالتزامُ اصطلاحا: يقول عزّ الدّين إسماعيل: "فكرة الالتزام في الأدب فكرةٌ حديثة هي وليدة عصرنا ولم يعرفها النّظر النقدي في العصور الماضية (...) والواقع أنّ مفهوم الالتزام قد ارتبط إلى حدّ بعيد بمفهوم الأدب نفسه، ومدى علاقته بالحياة وبالدّور الذي يقومُ به الأدب في توجيه الحياة (...) والحديثُ عن العلاقة بين الأدب والحياة شيء لم يعرفه النّقد القديم، أو هو لم يعرفهُ في صورة نظرية مبلورة (...) وربّما كانت أوّلُ عبارة في تاريخ النّظر النّقدي قد أحكمت الرّبط بين الأدب والحياة هي العبارة المأثورة عن الناقد والشّاعر الإنجليزي المشهور "كولردج" الذي يقرّر فيها أنّ الأدب نقدٌ للحياة([[6]](#footnote-6))"، وعليه فإنّ فكرة الالتزام فكرة حديثة نشأت نتيجة احتكاك الأديب بمشكلات الحياة التي يعيشها والوعي بدوره الذي يقوم به إزاء هذه المشكلات([[7]](#footnote-7))،وهذا لا يعني مطلقا أنّ الأدباء في العصور الماضية لم يكونوا ملتزمين ولكنّه يعني أن التنظير النّقدي لمصطلح الالتزام قد تبلور في العصر الحديث، فالممارسة قد تسبق التنظير بمراحل عديدة، ويكفي أن نعلم من كتب التّاريخ التي لطالما أطلعتنا أنّ الفنّ عموما والأدب خصوصا نشأ في أحضان العقيدة الدّينية، وقد ارتبط بها أمدًا طويلا([[8]](#footnote-8))، فمحاولات توجيه الأدب والسّيطرة عليه بدأت منذ ظهوره فقد طالب "أفلاطون" الشّعراء بالالتزام بمعايير أخلاقية تارةً كما طالبهم "أرسطو" بالالتزام بمعايير شكلية تارة أخرى، وذلك من خلال ما عُرف بنظريّة المحاكاة([[9]](#footnote-9)).

**المطلب الثاني: الالتزام و النظريات النقدية**

يُعدُّ الكاتب المفكّر "جون بول سارتر" من النّقاد الأوائل الذين نظّروا للالتزام، وذلك من خلال كتابه "ما الأدب؟" فقد رأى أنّ لكلّ كاتب موقفًا ورسالة يعبّر عنها في شكل ما وعليه فقد خاض معارك نقدية عنيفة مع خصومه الذين اعتبروا أنّ الأدب غاية وليس وسيلة، حيث«آمنت نظرية الخلق بالفنّ، واعتبرت الفنّ الحقَّ الفنّ الذي لا يرتبطُ بأيِّ منفعة أو فائدة، وقالت بأنّ الأفكار والمضامين ومواقف الأدباء لا قيمة لها (...)، بل إنّ الشيء الجميل في هذه الحياة هو الفنّ فآمنت به كغاية في ذاته»([[10]](#footnote-10))،وسرعان ما تراجعت نظرية الفنّ للفنّ أمام نظرية الانعكاس التي عدّت الأدب تجربة إنسانية تربطُه بعلاقة حميمة مع حياة النّاس، ومن هنا طالبت هذه النّظرية الأديب الإيمان بالفكر الاشتراكي والتّعبير عن القيم الإنسانية: كالعدالة الاجتماعية والحرّية السياسية وحق الشّعوب بتقرير مصيرها([[11]](#footnote-11))، ويعدُّ الموقف الوسطُ بين من يدعو إلى الالتزام المطلق ومن يدعو إلى أدب فنيٍّ خالص أقرب إلى الصّواب،ذلك أنَّ الأدب يعتمدُ على الإيماء والإيحاء والتَّصوير، وهو في كلِّ الأحوال لا ينقلُ واقعًا لأنّ الواقع يعرفه العام والخاص،و لكن الأدب صدى ذلك الواقع، كما أن الاهتمام بالإطار الفني دون المضمون الفكري يعدُّ عملا قاصرا؛ فالعمل الأدبي الذي يخلو من موقف ما يفقدُ قيمتهُ المتمثّلة في التّواصل مع القرّاء([[12]](#footnote-12))،وإذا كانت الفكرة تسبقُ الأسلوب فإنَّ الأفكار الجديدة ستؤدّي إلى ظهور أساليب جديدة([[13]](#footnote-13))، وهذا ما يؤدّي إلى التّجريب. "**فالالتزام في مفهومه الحديث هو اتّخاذ موقف من النزعات السّياسية والاجتماعية معبّرًا عن إيديولوجية طبقة ما أو الحزب أو النّزعة؛ أي عقيدة تلك الطّبقة أو الحزب أو النزعة، وهذا فالالتزامُ إسهام الأديب في حلِّ مشاكل المجتمع"**([[14]](#footnote-14)).

**المطلب الثالث: بين الإلزام والالتزام**

تُعدُّ الحرّية شرطا أساسيَّا في تحقيق الكتابة الفنّية النّاجحة والمبدعة، ذلك أنَّ أيَّ قيدٍ (سياسي أو اجتماعي أو نقدي...) يُفرَضُ على الكاتب من شأنه أن يؤثِّر سلبًا على التّجربة الأدبية، يقولُ رجاء عيد: "إذا نحنُ ألقينا نظرةً مقارنة تُضيف إلى ما سبقَ من فرق بين فلسفة الالتزام عند الواقعيين الاشتراكيين، وبين الوجوديين مع ملاحظة أننا نقصد على الأخصّ سارتر الذي قنّن للمذهب في نظريته الالتزامية، فإننا نجدُ أنّ الالتزام لدى سارتر التزامٌ فردي يوجدُ ذاتيا وينتهي ذاتيا بخلاف الواقعيين والسبب هو نقطة البدء في الفكر نفسه، فالفلسفة الاشتراكية تعتبرُ الفرد تحت سيطرة الواقع، ومنه يأخُذُ أحاسيسه ومعتقداته وأفكاره وأنّه يتغيّرُ تبعا لما يطرأُ على هذا الواقع من تغيير يساهمُ هو في قدرٍ منهُ، أمّا الوجودية فتجعلُ نقطة بدئها الذّات، وإن تصرّف هذه الذات تصرّفٌ ذاتي تكيفُ بإرادتها الخاصّة"([[15]](#footnote-15)).

فالالتزام عند سارتر فردي ينبع من الذّات ولا يخضعُ لأيّ قيود ويتحولُ عند الماركسيين إلى جماعي يخضعُ غالبا لسيطرة الجماعة أو السّلطة الحاكمة، وقد كشفت التّجربة عن خطأ هذا الإلزام وخطره لأنّه قد خنق الأعمال الأدبية وأفقدها صدقَ الإحساس فتحوّل الفنُّ بذلك من خدمة الحياة وقيادتها إلى أداة تعليمية للدّعاية المباشرة، وأصبح سيفًا مسلّطا على الجماهير بعد أن كان المعبّر الوحيد عن وجدانها واهتماماتها([[16]](#footnote-16)).

وإجمالا فإنّ الالتزام هو التبنّي التلقائي لقضية ما من قضايا المجتمع أو الأمّة أو الإنسانية بشكلٍ عام والشُّعورُ بها والتّعبير عنها في شكلٍ جمالي فني دون قيدٍ أو شرط، وبذلك يوفّق الكاتب بين الشّكل والمضمون، ومن هنا نستطيعُ القول أنّ الالتزام هو تزاوج وتلاقح بين الفكر والأدب كما يرتبطُ غالبا بالإيديولوجية التي تمثّلُ بمجموعة من الأفكار والمفاهيم والتّصورات، وهي تعبّرُ عن مواقف محدّدة تجاه علاقة الإنسان بالعالم الاجتماعي أو السياسي أو الطّبيعي...، وهي توازي مصطلح العقيدة غير أنّ مصطلح العقيدة يرتبطُ بالدّين غالبا([[17]](#footnote-17)).

**المطلب الرابع: الالتزام في الشّعر العربي**

ذكرنا في ما سبق أنّ الالتزام في شكل نظرية نقدية تبلور في العصر الحديث، لكن ممارسة الالتزام ظهرت منذُ ظهور الأدب، فالفكرُ يسبق الكتابة، إذ لابُدّ للكاتب أن ينطلقَ من مضمون فكري ليصل إلى شكلٍ فني، وهذا المضمون يرتبطُ بالحياة المعيشة التي تتقاسمُ أعباءها جماعة من البشر، والشّاعرُ يكونُ غالبا لسانُ هذه الجماعة ففي كثير من الأحيان تدفعُ الحاجة إلى تصوير التّجربة الإنسانية إلى الكتابة الأدبية، يقول ابن رشيق:«وكان الكلامُ كلُّه منثورا فاحتاجت العربُ إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها وأيامها الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الأمجاد وسمحائها الأجواد لتهُزَّ أنفُسها إلى الكرم، وتدُلَّ أبناءها على حسن الشّيم، فتوهّموا أعاريض جعلوها موازين الكلام»([[18]](#footnote-18)).

فهذا القولُ يعبّر بوضوح عن وظيفة الشّعر عند العرب، فهو لسان حالهم في حلّهم وترحالهم، كما يصوّر حروبهم ومكارم أخلاقهم، فالشّاعر المجيد يحظى بمكانة مرموقة بين أفراد قبيلته، وكيف لا وقد وكّلت إليه القيادة المعنوية لقومه.([[19]](#footnote-19))

وقد كانت القبائلُ العربية تحتفي بشعرائها وتكرمهم، وقد ذكر ابن رشيق أنَّ القبيلة إذا نبغ فيها شاعر كانت تقيمُ الأفراح والولائم، وتتلقّى التّهاني من القبائل الأخرى فهي ترى في شعرائها حمايتها للأعراض وتخليدًا للمآثر.([[20]](#footnote-20))

وبمجيء الدّين الإسلامي فقد احتاج المسلمون إلى من يحملُ همومهم وقضاياهم وعقيدتهم السّمحاء، وينافح عنها بلسانه كاحتياجهم للمجاهد الذي يدافعُ عنها بسيفه، وقد زاد هذا الاحتياجُ في مرحلة بناء الدّولة، وذلك ردّا على الشعراء المناوئين من المشركين، وقد سلطوا ألسنتهم لهجاء الدّعوة عموما والرّسول صلى الله عليه وسلم خصوصا، فكان لزوما أن يتصدّى لهم ثلة من الشعراء المسلمين الذين حملوا على عاتقهم المزاوجة بين الفكرة المأخوذة من الدين الإسلامي والمبنية على تعاليم القرآن والسنة وبين اللغة الفنية التي تبلّغ هذه الفكرة إلى المتلقين.([[21]](#footnote-21))

وبطبيعة الحال فقد وجّه الإسلام الشّعراء الى الالتزام بالعقيدة الصحيحة، قال تعالى في سورة الشّعراء، الآية 224-227: **﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ٢٢٤ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ٢٢٥ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ** **إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ   
بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾**

وسنعتمد في شرح هذه الآيات على صاحب كتاب "الظلال" للسيد قطب لأنّه جمع بين تفسير القرآن الكريم والنّقد الأدبي، فهو الأديب المفسّر حيث يرى أن الشّعراء المشركين لا يأمرون بتقوى، ولا يقودون إلى إيمان، فمنهج النبيّ صلى الله عليه وسلم ومنهج القرآن الكريم غير منهج الشعر والشّعراء أصلا، لأنهم ينقضون ما يقولون في شعرهم وكثيرا ما يخضعون إلى أوهامهم وأحلامهم وانفعالاتهم الظّرفية، بينما يصرّ الدّين الإسلامي على دعوة ويثبتُ على عقيدة ويدعو إلى منهج واضح لا لبس فيه، ومع هذا فالإسلام لا يحاربُ الشّعر والفنّ لذاته، ولكنّه يحارب منهج الأهواء التي لا ضابط لها، فاستثنى بذلك الشعر الهادف الذي يتماشى مع عقيدة الإسلام.([[22]](#footnote-22))

ومن هؤلاء الشّعراء الذين نافحوا عن العقيدة الإسلامية وعن الرّسول صلى الله عليه وسلم حسّان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك (رضي الله عنهم)، وقد رمى عبد الله بن الزبعري وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب الرّسول صلى الله عليه وسلم في جاهليتهما, ثم لم يلبثا أن أسلما ومدحا النّبي صلى الله عليه وسلم ودافعا عن الإسلام.([[23]](#footnote-23))

مما ورد في الصّحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسّان: "اُهجهم ـ أو قال: هاجهم ـ وجبريل معك"، وعن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه أنّه قال للنّبيّ صلى الله عليه وسلم : إنّ الله عزّ وجلّ قد أنزل في الشّعراء ما أنزل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنَّ المؤمن يجاهدُ بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نطح النّبل".(رواه الإمام أحمد).([[24]](#footnote-24))

وهكذا فقد وجّه الإسلامُ الشّعر إلى التّغني بمكارم الأخلاق والإقبال على الفضائل ونبذ الرّذائل، دون أن يقصر الشّعر على موضوع بعينه، أو أن يفرض عليه غرضا دون آخر، فما وافق منه الدين والفطرة السّوية فهو حسن، وما شذَّ عن ذلك وابتعد عنه فهو قبيح، فالإسلامُ كمنهج متكامل (دين ودنيا) لم يلزم الشّعراء بل وجّههم.فإذا كان الدّين الإسلامي لا يفرض على غير المسلمين الدّخول في الإسلام قصرًا؛ قال تعالى في سورة يونس الآية 99: **﴿** **وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ** **﴾** ، فكيف يلزمُ الشّعراء ويسلبُهم الحرّية وهو يقومُ أصلا على هذا المبدأ.

وقد كان أبو العلاء المعرّي خير مثل عن حرّية الالتزام من حيثُ هي مسؤولية نابعة أساسا من الضّمير دون أن يلزمه أحدٌ، كان ذلك قبل أن تعرف دنيانا شيء عن الأدب الهادف، وغير الهادف وتخوض في جدال عقيم.([[25]](#footnote-25))

وفي العصر الأموي شهد العالم الإسلامي تحوّلات خطيرة في كلّ مناحي الحياة وكان أبرزها ظاهرة التّحزّب والنّعرات الشّعوبية والعرقية، وقد انعكس كلّ ذلك على الشّعراء الذين عبّروا عن مواقفهم تجاه كل حزب وكلّ طائفة([[26]](#footnote-26))، واستمرّ ذلك الحال في العصر العبّاسي.

وبخلاف الدّين الإسلامي لم ينظر النّقد العربي في تلك الفترة إلى الشّعر من زاوية المضمون وعلاقة ذلك المضمون بالأخلاق أو الحياة الاجتماعية، وإنّما نظر إليه نظرة فنّية صِرف ارتبطت بالاعتبارات والتّقاليد الفنية الشّكلية، هذه الاعتبارات هي التي أثرت في الشّعر العربي وكان الخروج عليها بمثابة الخروج على المجتمع ذاته، ومن هنا اعتبرت أساسا من أسس النّقد العربي.([[27]](#footnote-27))

وفي أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين عرفت الحركة الشّعرية العربية بوادر نهضة وازدهار، واشتملت على موضوعات سياسية واجتماعية وحضارية فأثَّر الشّعرُ بذلك تأثيرا جليّا على مجرى التّاريخ، وأوضاع الحياة بتناولها لقضايا العامّة كالحرّية والاستقلال والعدل ونظام الحكم، وأحوال النّاس ومشكلات الأمّة وتاريخها الحضاري، فبحثوا عن ذاتها والعوامل التي تأثّرت بها، وبذلك لمس الشّعر معنى الالتزام الحقيقي، كما في دواوين حافظ إبراهيم ومعروف الرصافي والقروي.([[28]](#footnote-28))

وسرعان ما انتقلت هذه الحركة الإحيائية إلى المغرب العربي فبدأ الشّعراء الإصلاحيون التّعبير عن هموم الأمّة وآمالها وتطلُّعاتها فبدى شعرُهم صدى لشعوب ترزح تحت ظلم المستعمر الذي سلّط عليها الجهل والفقر والحرمان، من هؤلاء الشّعراء "محـمد الشاذلي خزندار، الأمير عبد القادر، سليمان باشا الباروني"وكلّهم التزموا بقضايا الأمّة وهمومها، فكان لهؤلاء الفضل في بعث روح النّضال ضدَّ المستعمر فظهر ما يسمّى بالشّعر النّضالي، ولعلّ أشهر رواده "مفدي زكريا"، الذي يمثّل معاني الالتزام بكلّ وضوح، فهو شاعر النّضال والثّورة والوحدة المغاربية، ومن ثمّ الوحدة العربية، وقد عبّر عن وشائجها بقوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وتعمّدوا قطع الطّريق فلم تُرد نسبٌ بدنيا العرف زكى غرسه سبب بأوتار القلوب عروقه إمّا تنهّد بالجزائر موجع واهتزّ في أرض الكنانة خافق وارتجّ في الخضراء شعب ماجدٌ وهوت مراكش حوله وتألّمت |  | أسبابه بالعرب أن تتقطّعا ألم، فأورق دوحه وتفرّعا إن رنَّ هذا رنَّ ذاك ورجّعا آسى الشّآم جراحه وتوجّعا وأقضَّ في أرض العراق المضجعا لم يثنه أرزاؤه أن يفزعا لبنانُ واستعدى جديس وتبّعا ([[29]](#footnote-29)) ط |

والحقيقة أنّ مفدي زكرياء بدأ الالتزام بالقضية الوطنية مبكّرا وذلك سنة 1936م، حيث نظم قصيدة "فداء الجزائر روحي ومالي" وبعدها بسنة "اِعصفي يا رياح"، التي صارت نشيدا للشُّهداء، وبذلك مثّل "مفدي زكرياء" الثّورة الجزائرية بلا منازع، وهو يعبّر عن قضايا الوطن والأمّة بعبارات واضحة لا لبس فيها ولا شك، كما كان للثّورة الجزائرية الصدى الواسع لدى عموم الشّعراء العرب على اختلاف مذاهبهم الفنيّة وتوجّهاتهم الفكرية، وكذلك أسهمت هزيمة يونيو 1967م، أو ما يسمّى بالنّكسة في التحاق الشّعراء بركب الالتزام، ومن أشهرهم: نزار قبّاني، الذي تحوّلت نظرته إلى الشّعر باعتباره زينة وتحفة جميلة إلى حامل قضايا وهموم المجتمع والوطن، حيثُ يقول:«يا وطني الحزين حوّلتني بلحظة من شاعر يكتب شعر الحبّ والحنين، لشاعر يكتب بالسّكّين»([[30]](#footnote-30)).

والمتأمّل لتاريخ الثّورات يلحظ أنّ الأدب يأخذ مكانه في الطّليعة إرهاصا بقدوم فجرٍ جديد، ويتميّز روادهُ بالالتزام الباسل والحرّ الذي لا يخضعُ إلَّا لسلطة الضّمير، هذه الثورات قد مرّت حتما بفترة غليان فكري تُنشر فيه الوعي واليقظة والحماسة بين صفوف الجماهير وتُحفّزها لمقاومة الظّلم والاضطهاد.

والالتزام هو الذي يمنح أدب هذه المرحلة الحيوية والحرارة والصّدق، وبعد أن تنتصر تلك الثّورات يستمرئ الأدب نشوة الانتصار ويتراجعُ عن مكانه في الطّليعة فيغيب بذلك عن الأحداث،وتدبُّ إليه ظاهرة الجمود.([[31]](#footnote-31))

**المطلب الخامس: الالتزام و الإلزام في النّقد العربي**

انعكس الخلاف الذي شطر رواد النّقد الغربي في القرن التاسع عشر إلى مدرستين، إحداهما تعتبر الأدب انعكاسا لقضايا اجتماعية، والأخرى تعتبره غاية فنية في حدّ ذاتها على النّقاد العرب الذين تأثّروا وبحدّة بهذا الخلاف، فمنهم من ثار لأجل الفنّ للفنّ، ورفض فكرة الالتزام أصلا، ومن أشهرهم "طه حسين"([[32]](#footnote-32)).كما كان لفلسفة الالتزام التي نشأت في أحضان الفكر الماركسي أثرا كبيرا في النقد العربي حيثُ يبدوا رواد هذه الفلسفة العرب أقرب إلى الإلزام منه إلى الالتزام، ومن بينهم "سلامة موسى" الذي يقول «وعندي أنّ التجديد في الأدب هذه الأيام لا يعني شيئا آخر سوى التّجديد في الحياة، وهذا هو ما نفهمه من المجدّدين الإنجليز الذين نعرضهم في الفصول التالية؛ فإنّ الأديب الإنجليزي يتّصلُ بالحياة ويتأثَّرُ بها ويؤثّر فيها، وهو ينتقد أسلوب العيش أكثر مما ينتقد أسلوب الكتابة، وهذا خلاف ما نجده في طبقة الأدباء التّقليديين في مصر: حيثُ الاهتمام كبير بالأسلوب الكتابي في حين ليس هناك اهتمام أصلا بأسلوب العيش، فإنّ الأديب التقليدي يعنى مثلا بأسلوب الجاحظ الكتابي فيحتذيه، ولا يعنى بأسلوب الفلاح المصري في العيش فينتقدهُ ويطلب إصلاحه، وهو يكتب عن العرب وتاريخهم ومجدهم.([[33]](#footnote-33))

وبذلك فقد فرض سلامة موسى على الأدب أن يكون في خدمة المجتمع وطلب من الأدباء أو لِنقُل إن صحَّ القول ألزمهم أن يكتبوا للشعب بلغة الشعب، وأن تكون الشؤون الاجتماعية مدار اهتماماتهم ودراساتهم وبذلك يتّصفون بصفات المعلّم المربي ويبتعدون عن مقام المسلّي المهرّج، وعموما فالأدب في نظره يعنى بالمضمون الفكري فقط دون الشّكل الجمالي.([[34]](#footnote-34))

وبالمقابل يزاوجُ "رجاء عيد" بين الشّكل والمضمون حين يقول: «وليس معنى ذلك أن نسمح له بالسّقوط في مهاوي السطحية والذّهنية المباشرة أو السردية المنطفئة، أو إشعال النّار والتفرّج عليها، بل يجبُ أن يكتوي بها ويكوينا في اللحظة نفسها، فلا يمكن أن نسمح له باستغلال الموضوع ليحوّلهُ إلى مجرّد حادثة أو سرد، وإنّما يجبُ أن يضع في حسبانه النواحي الفنية والجمالية».([[35]](#footnote-35))

كما يحدّد "محـمد مندور" نظرته لنظرية الفنّ للفنّ حيثُ يقول:«ليس معنى الفنّ للفنّ أن يخلو الأدب من موضوع، وذلك لأنّه ليس التّفكير أو العاطفة هما الموضوعان الوحيدان اللذان يصلحان مادة للأدب،بل هناك إلى جانبيهما كافة معطيات الحواس التي تتلقاها من الخارج وبخاصة المرئيات.([[36]](#footnote-36))

كما وقفت "عائشة عبد الرّحمن"موقف الوسط حين فصلت في قضية الالتزام والإلزام([[37]](#footnote-37))، فرأت أنّ ضمير المبدع هو مصدر حرّيته، كما أنّ العمل الأدبي لا ينتج من فراغ فهو يقوم على الفكر والجمال: «ومفهوم الحرية في الأدب والفنّ لا ينفصلُ عن مفهوم الحرّية العامّة التي يدينُ بها إنسانُ العصر، إنّ الحرّية لا تعني الإباحة والفوضى والتّحلل؛ بل هي في صميمها أمانة صعبة ومسؤولية باهظة، وقيود صارمة، وأخطر ما تتعرّض له الحرّية ـ في أيّ مجال لها ـ هو الجهل بتبعاتها ومسؤوليتها، واختلاط مفهومها بشوائب ضالة من الفوضى والتّحليل والإفلات، فالأصل في الحرّية على غير ما يتصوّر بعضنا، أن تكون قيدا والتزاما، وجوهر الفرق بينها وبين العبودية؛ أنّ قيود الحرّ مفروضةٌ عليه من تلقاء نفسه، يلتزم بها عن طواعية واختيار، أمّا قيود العبودية فيفرضها الغير قسرا، على وجه القهر والإلزام (...)، فمن الجانب الفنّي لا تعني الحرّية إباحة المجال الأدبي لكلّ من هبّ ودبّ (...)، ومن الجانب الموضوعي لا يجوزُ أن ننسى أنّ حرّية الأديب هي حرية فرد في مجتمع».([[38]](#footnote-38))

**الالتزام عند الشّاعر "عبد الرحمن بن صالح العشماوي**([[39]](#footnote-39))**ورؤيتُه إلى الحداثة**:

يبدو أنّ البيئة الإسلامية المحافظة التي نشأ فيها "عبد الرحمن العشماوي"، قد أثّرت عليه تأثيرا بالغا حيثُ غرست في أعماقه جذور المنهج الإسلامي فأورقت قصائد تنافح عن الأمّة الإسلامية وقضاياها العادلة، فلطالما دافع عن الإسلام والمسلمين، فلا يكاد يمضي حدثٌ يخصُّ شأنا من شؤون الأمّة إلّا وتحوّل في خواطره إلى مقطوعة فنية يعبّر فيها عن مشاعره وأحاسيسه، ويسجّل موقفه من هذا الحدث دون لبس أو شكّ، فالشّاعر يؤمن أنّ الأدب عموما والشّعر خصوصا رسالة ومسؤولية قبل كلِّ شيء، وأنّ الكلمة تمثّل شيئا من الجهاد وهو الذي تأثّر بجيل الصّحابة الشّعراء الذين سخّروا شعرهم للمنافحة عن الإسلام، كما يسخَّرُ السيفُ للجهاد في سبيل الله فرضي بذلك الرّسول صلى الله عليه وسلم عن حسن أدائهم ودعا لهم بحسن التّوفيق والسّداد، كما عني بالاستماع إلى شعرهم وتوجيهه وفق تعاليم الإسلام، فكان من الطّبيعي أن يتأثّر "العشماوي" بهذا الجيل، ومن ثمّ فقد أدرك أن الإسلام لم يقف موقف الرّفض للشّعر في حدّ ذاته، ولذلك استثنى الله عز وجل المؤمنين من الشّعراء الذين حملوا على عاتقهم لواء الدّفاع عن الإسلام والانتصار له، كلُّ ذلك حمل "العشماوي" على أن ينحوَ بشعره منحى الاتّجاه الإسلامي ويسخّره هو الآخر في خدمة قضايا الإسلام والمسلمين، محاولا بذلك تخليص الأمة من أوهامها ووهنها، ويشعل فيها فتيل اليقظة ويبث روح الحماسة والكرامة فتغْدو بذلك قصائده بشائر أمل تنبئ عن إشراق جديد.

يقول الشّاعر "العشماوي" في قصيدة "رسالة من القضية.. إلى الأمة العربية":

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| شعري النّداء الحرّ والنّبع الذي شعري يا قربي إلى أقصى مدى لكنّه ما زار بيت رذيلة لم يتّجه يوما إلى أسطورة أنا ما جلبت إلى رياض قصائدي أنا ما استضفت أبا نواس في روي يا شمس عذرًا إنّني ما زلت في عذرًا إذا اندفعت إليك قصائدي |  | يسقى برغم جفافنا الأشجارا ومن الذي لا يعشق الأسفارا؟ يوما، ولم يسلك إليه مسارا جعلت أباطيل الزّمان منارا آمون أو إيزيس أو عشتارا شعري، ولا استقبلت فيه نزارا درب الأسى أتتبّع الأطوارا بحرا فإنّي أعشق الإبحارا([[40]](#footnote-40)) ط |

من الواضح أنّ "العشماوي" في الأبيات السّابقة يؤكّد التزامه بقضايا الأمّة ويرفض أن تعتمد قصائده على أساطير دينية أو وثنية تتعارض منطلقاتها مع الدّين الحنيف.

إنّ المتأمل في دواوين "العشماوي" ـ على كثرتها ـ سيجد قضايا عديدة وموضوعات شتى، وما عناوينها إلا صدى لهذه الكثرة وهذا التنوع، فقد عبّر عن مآسي الأمة الإسلامية من شرقها إلى غربها، فلم يترك قضية من قضايا المسلمين إلا وله فيها رأي، وفي قصيدة "قصر الشموخ"التي يتحدّث فيها الشاعر عن "الرّياض" كونها عاصمة بلاد الحرمين هذه البلاد التي سطع منها نور الرسالة المحمدية، فكانت مركزا لانطلاق تعاليم الإسلام وانتشارها شرقا وغربا، وشيدت حضارة ساهمت بشكل كبير في خدمة الإنسانية جمعاء، هذه الحضارة ـ وإن تراجعت ـ تبقى مدعاة فخر واعتزاز تمنع المنتمين إليها من الخجل حين تذكر الحضارة الغربية وما جراحُ الأمّة الكثيرة ونكباتها العديدة إلا فصلا من فصول التاريخ سيطويه المسلمون يوما ما، يقول الشاعر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| مَهْلًا شِفَاهَ العَاتِبِينَ فَإِنَّ لِي فَلَقَدْ بَكَيْتُ الْقُدْسَ مُنْذُ عَرَفْتُهَا وَبَكَيْتُ فِي كِشْمِيرَ شَيْخًا وَاهِنًا وَبَكَيْتُ فِي الشِّيشَانِ دُورَ أَحِبَّةٍ وَبَكَيْتُ فِي الْبَلْقَانِ مَنْ لَعِبَتْ بِهِمْ |  | مِنْ شِعْرِيَ الدَّامِي عَلَيَّ شُهُودَا وَعَرَفْتُ فِيهَا الْغَاصِبَ الْعِرْبِيدَا ذَبُلَتْ خُطَاهُ وَمَنْزِلًا مَهْدُودَا هُدِمَتْ وَأَمْسَى حُلْمُهَا مَوْؤُودَا أَيْدِي الطُّغَاةِ تَنَكُّرًا وَجُحُودَا([[41]](#footnote-41)) ط |

فهذه الأبيات تعبّر عن تأثّر "العشماوي" بمآسي المسلمين من عربهم وعجمهم على حدّ سواء، تلك المآسي التي لا يملّ الشاعر من التّعبير عنها حتّى وإن طلب منه أن يقرض شعرا في الغزل والنّسيب، فقد روى "العشماوي"([[42]](#footnote-42))أنّه كان يحيي أُمسية شعرية فطلب منه بعض الحضور شيئا من الغزل، حتى ينسوا جراح الأقصى وآلامه، هذا الطلب غرس في أعماقه شتلة قصيدة سماها "عفوا بني قومي"، فقال في بعض من أبياتها:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قَالُوا أَرِحْ عَيْنَيْكَ مِنْ طُولِ السَّهَرْ قَالُوا أَقِمْ لِلشِّعْرِ مَمْلَكَةً بِهَا وَارْسُمْ لَنَا مِنْ جِسْمِ لَيْلَى لَوْحَةً عَفْوًا بَنِي قَوْمِي فَلَسْتُ بِشَاعِرٍ هَذِي جِرَاحُكُمُ التِي أَصْلَى بِهَا سَأَظَلُّ أَعْزِفُهَا عَلَى وَتَرِ الْأَسَى مٍنْ أَيْنَ تَبْتَسِمُ الْقَصَائِدُ فِي فَمِي أَنَا لَسْتُ زَمَّارًا إِذَا نَادَى الهَوَى  عَفْوًا بَنِي قَوْمِي فَإِنَّ قَصَائِدِي أَدْعُوا إِلَى الإِيمَانِ دَعْوَةَ شَاعِرٍ بَيْنِي وَبَيْنَ الشِّعْرِ عَهْدٌ صَادِقٌ |  | وَأَرِحْ فُؤَادَكَ مِنْ أَنِينِكَ وَالضَّجَرْ مِنْ كُلِّ غَالِيَةٍ مُنَعَّمَةِ الأَثَرْ تَتَنَافَسُ الأَلْوَانُ فِيهَا والصُّوَرْ يُمْلِي عَلَى الْكَلِمَاتِ أمْزِجَةَ الْبَشَرْ أَشْدُوا بِهَا شَدْوًا يُخَالِطُهُ الكَدَرْ حَتَّى أَرَى فِي الأُفْقِ تَلْوِيحَ الظَّفَرْ وَالْحُزْنُ يَمْلأُهَا بِأَصْنَافِ الْعِبَرْ لَبَّى وَإِنْ نَادَى مُنَادِي الْحَقِّ فَرْ   جِسْرٌ إِلَى أَمَلٍ قَرِيبٍ مُنْتَظَرْ شَرِبَ الأَسَى مِنْ أَجْلِكُمْ وَبِهِ انصَهَرْ أَن نَجْعَلَ الإِسْلَامَ مَبْدَأَنَا الأَغَرْ ط |

فبمثل هذه الأبيات خاطب "العشماوي" قومه لأنّه رفض أن يطلَّ عليهم من برجه العاجي، وينقل إليهم غير ما يشعر، وذلك لأنّ قضايا الأمّة ملكت كلّ أحاسيسه فأصبح جزءا لا يتجزّأ منها، وهو الذي يقول في البيت الأخير من هذه القصيدة:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| بَيْنِي وَبَيْنَ الشِّعْرِ عَهْدٌ صَادِقٌ |  | أَن نَجْعَلَ الإِسْلَامَ مَبْدَأَنَا الأَغَرْ ط |

وليس من الإسلام أن ينصرف الشاعر عن مآسي المسلمين وقضاياهم ويهيم على وجهه بين ثنايا الكلمات، فهو يشعر بما يشعر به الآخرون من آلام وأحزان وهو بذلك يتمثّل قول النبيّ صلى الله عليه وسلم «**ترى المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى**»([[43]](#footnote-43))، وعليه فإنّ العشماوي يرى الشعر بخلفية إسلامية فالتزامه بالإسلام جعله يصوّر قضايا المسلمين وينافح عنها في كلّ مكان، فقد روى([[44]](#footnote-44)) مرّة أنّه دُعي إلى أمسية شعرية حضرها شعراء كُثر من كلّ ربوع الوطن العربي، وقد فوجئ بجماعة منهم يحيون الجمهور بغير تحية الإسلام فترك ذلك في نفسه أثرا بليغا، ثمّ ما لبث أن سمع من الشّاعر "محـمد الفيتوري" قصيدة في رثاء (ستالين) لأنّه يراه منطلقا لمبادئ الحرّية والعدالة، وهذا طبعا يناقض رؤية "العشماوي" للزّعيم السّوفياتي، ومن ثمّ ارتجل فيها قصيدة يهجو فيها تلك الجماعة، ونحن في الحقيقة لا نريد سرد ما تقدّم كي ننتصر لطرف على حساب طرف، وإنّما نريد أن نسلّط الضّوء على قضية الصّراع الفني الإيديولوجي على حسب انتماءاتهم ومشاربهم، تقول "عائشة عبد الرحمن" «ففينا من تلقّى زاده الأول من نبع عربي شرقي صميم حصنه ضدّ تيار الفرنجة الوافدة، وفينا من لا زاد له إلّا الفكر الأجنبي، وقد أمضى مرحلة الحضانة (...) في بيئة عزلته عن بيئة أمّته (...)، وهذا المفهوم للمعاصرة في مجالها الزّمني يلفت إلى ظاهرة واضحة في المناخ الفكري لأدبائنا المعاصرين، وهي فقدان التّعاصر بين الأدباء العرب ينتمون فكريا ووجدانيا إلى عصور متباعدة وبيئات متنافرة شتّى»([[45]](#footnote-45))، وبلا شكّ فإنّ هذه الظاهرة صحيّة لأنّ الأدب يقوم على مبدأ التنوّع والتميّز، فلا يمكن لنا أن نتصوّر أدبا ينحو منحى الخطّ الواحد، فلكلّ أديب أفكاره ورؤاه الخاصّة "فالعشماوي" يقف موقفا أقرب إلى الرّفض منه إلى التّحفّظ من الحداثة وجذورها الفكرية التي يراها هدما للدّين والمعتقد([[46]](#footnote-46))، فهو يرفض منطلقاتها الفكرية دون مظاهرها الفنية والأدبية والتي تمثلت في الشعر الحداثي أو ما يُعرف بالشّعر الحر؛ فالشّاعر يقول شعرا في شكل قصائد حرّة رغم رفضه كما قلنا لمنطلقاتها الفكرية.

تعتبر القضية الفلسطينية من أهم قضايا الأمّة وأبرزها التي عني بها "عبد الرحمن العشماوي" فقد شغلت الحيز الأكبر من نشاطه الشعري فأفرد لها دواوين عدّة؛ منها: "على قصر النّصر"، "شموخ في زمن الانكسار"، "القدس أنت"، فقد تطرّق إلى هذه القضية وغاص في كلّ موضوعاتها وتعقيداتها وتفاصيلها، ونافح عنها في كل زمان ومكان معبّرا عن كلّ جديد يبرز على الساحة بكلّ وضوح بدون لبس أو شكّ، وهو بذلك من بين قلّة من الشّعراء الذين خاضوا في قضية فلسطين من كلّ جوانبها، ويعتبر ديوان "القدس أنت" نموذجا لهذه الرّؤية؛ حيث شكلت هذه القضية موضوعا أساسا، وكل القضايا الأخرى هي موضوعات تتصل بالقضية الأمّ بشكل مباشر أو غير مباشر، وفيما سيأتي سنحاول تسليط الضّوء على أهم هذه المواضيع وربطها بالوقائع السياسية والتاريخية والدّينية...، التي شكّلت المادّة الخام التي استمدّ منها الشّاعر مواقفه وصوره الفنّية.

**المبحث الثاني:القضية الفلسطينية و موضوعاتها في ديوان القدس أنت.**

**تمهيد:**

**المطلب الأول: القدس والمسجد الأقصى**

**المطلب الثاني: جرائم الاحتلال الصّهيوني**

**المطلب الثالث: الجهاد والمقاومة**

**1/توطئة:**

تعدّ القضية الفلسطينية أقدم وأعقد قضية عرفها العصر الحديث والمعاصر، وجذور الصّراع على هذه الأرض ضاربة في أعماق التاريخ، هذه الأرض التي تتميّز بموقعها الجغرافي الهام والاستراتيجي، ومكانتها الدّينية المقدّسة بالنّسبة للأديان السّماوية الثّلاث؛ فهي قبلة المسلمين الأولى، وهي مهد المسيح عيسى (عليه السلام)، وعليها أقيمت مملكة سيّدنا سليمان (عليه السلام)، ومن ثمّ فقد نشبت حروب طاحنة ومعارك عنيفة بين أتباع هذه الدّيانات للسيطرة عليها وحكمها، وذلك منذ العصور الغابرة، أمّا في العصر الحاضر فللقضية الفلسطينية ثلاثة جوانب، جعلت منها القضية الأبرز التي شغلت بال العالَم العربي خصوصا والأمّة الإسلامية عموما:

الجانب الأوّل: طبيعة الأرض بقدسيتها وبركتها ومركزيتها في قلوب المسلمين.

الجانب الثاني: طبيعة العدو بادّعاءاته العقائدية والتاريخية، وبروحه الاحتلالية التّوسّعية التي تسعى لطرد شعب فلسطين، وإلغاء حقوقه الأصيلة في أرضه ومقدّساته.

الجانب الثالث: طبيعة التّحالف الغربي الصهيوني الذي هدف أساسا إلى تمزيق الأمّة الإسلامية وإضعافها وإبقائها مفكّكة الأوصال تدور في قلب التّبعية للقوى الكبرى([[47]](#footnote-47))، وعليه فقد اتّخذ هذا الصّراع طابعا محلّيا وإقليميا ودوليا، فمنذ الانتداب البريطاني عام 1948.

وفلسطين تتعرّض لنسيج مؤامرة أحاكت خيوطها الصّهيونية العالمية مستمدّة قوّتها من دعم الأنظمة الغربية المسيحية وتواطؤ بعض الحكومات العربية، فأضحت بذلك فريسة بين أنياب اليهود ومخالبهم ممّا شكّل جرحا غائرًا في قلب الأمّة العربية لا يزال دمه ينزف فوق صفحات التّاريخ، من هذا المنطلق أبى الشّعراء إلّا أن يسجّلوا هذه الآلام بكلمات دامية، يقول "رجاء عيد": «نستطيع أن نحدّد مسار الشّعر الذي يتبع سهم الالتزام في عدّة قضايا تمثّل منطقة جذب شعري، وأهمّها قضايا الوطن العربي وما يعيشه من صراعات سياسية واجتماعية، وهو يتخطّى عهود الاستبداد الأجنبي والمحلّي أحيانا (...)، ولعلّ أهمّ قضية ما زالت تمثل المساحة الضّخمة في واقعنا المعيش هي قضية فلسطين بحسبانها جرحنا الغائر في تاريخنا وما زال الدّم ينزف كلّ حين من أجلها».([[48]](#footnote-48))

ويعدّ الشّاعر "عبد الرحمن العشماوي" من أبرز الشّعراء المعاصرين الذين تناولوا القضية الفلسطينية وخصّصوا لها حيّزا كبيرا من نشاطهم الشّعري، وقد تناول هذه القضّية بكلّ أبعادها وموضوعاتها مبديا آراءهُ ومواقفه من هذه الموضوعات التي سنحاول تسليط الضّوء عليها في ديوانه "القدس أنت" فيما سيأتي:

**2/المطلب الأول: القدس والمسجد الأقصى**

تعدّ مدينة القدس([[49]](#footnote-49)) وفي القلب منها المسجد الأقصى إحدى المقوّمات الأساسية التي تشكّل جوهر الصّراع بين المسلمين من جهة واليهود المغتصبين من جهة أخرى، وقد نجح المحتلّ في تهويد هذه المدينة والسيطرة عليها، وهدم بيوت المقدسيين وتشريدهم وتشديد الخناق على من تبقّى منهم فأضحوا بذلك عرضة للتّنكيل والتّمييز العنصري، وصعوبات الحياة اليومية، كلُّ ذلك يجري تحت مرأى ومسمع العالم أجمع، لأنّ اليهود أصحاب نفوذ كبير، فهم يسيطرون على مراكز صنع القرار العالمية، ولا سيما مجلس الأمن الدّولي، وقد زادت رؤية المقدسيين للمسجد الأقصى وقد دنّسه اليهود من متاعبهم وآلامهم فوقفوا عاجزين أمام تغيير هذا الواقع منذ 1967م، بعد أن ازدادت اقتحامات اليهود للمسجد الأقصى فأخذت طابعا عنيفا وممنهجا، كما تمّ تقسيمه مكانيا وزمانيا وحيل بينه وبين المصلّين المسلمين في أوقات كثيرة، وأصبح الوصول إليه يمثّل ضربا من المستحيل لفئة الشّباب خاصّة، وبعجز الحكومات العربية عن تغيير هذا الواقع أدرك المقدسيون ألّا مناص من الوقوف بأنفسهم في وجه الاحتلال؛ فشكّلوا كتائب سلمية عرفت بالمرابطين، وقد أخذوا على عاتقهم حماية المسجد الأقصى المبارك من دنس اليهود.

ولأنّ القدس والأقصى يمثّلان جوهر الصّراع فقد خصّهما "عبد الرحمن العشماوي" بحيّزٍ كبير من أشعاره، وما عنوان ديوانه "القدس أنت" إلَّا دليلا على ذلك، فالمتصفّح لهذا الدّيوان يلحظُ أنّ الشّاعر تناول بسورة أو بأخرى موضوع القدس والمسجد الأقصى في كلّ القصائد عدا قصيدة واحدة، وهذا يؤشّر على أهمّية هذا الموضوع ومكانته في نفسية المبدع، ففي قصيدة "أنا مسرى نبيكم" يجري "العشماوي" شعره على لسان المسجد الأقصى، باعتباره مسرى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أنا مسرى نبيّكم، لست أنسى يوم صلَّى محـمد فِي رِحابِي لم أزَلْ أذكر البُراقَ تسامَى حينها مرّت لا أرى غير نورٍ أنا مسرى خير العباد وعندي |  | ليلةً لونُها بديعُ الظّلامِ بالنّبيينَ يا له من إمامِ يا بقلبي إشراقُ ذاك التّسامي يتجلّى وراء ندف الغمام شاهد الحقّ يا بني الإسلام([[50]](#footnote-50)) ط |

ففي الأبيات السابقة يحوّل الشّاعر المسجد الأقصى إلى قاصّ يروي شعوره ليلة الإسراء بالنّبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أمّ النّبيين جميعا في إشارة أنّ الأقصى للمسلمين على اعتبار أنّ الأنبياء والرّسل آمنوا بشريعة الإسلام ولذلك صلّوا خلف محـمد صلى الله عليه وسلم تصديقا برسالته، ثمّ يتحدّث الأقصى عن البراق، وقد أسري فوقه الرّسول صلى الله عليه وسلم مما زاد المكانة بهاءً وإشراقا في إشارة إلى حائط البراق الذي دنّسه المحتل وسمّاه بحائط المبكى يمارسون فيه طقوسهم الدّينية ومن الأقصى الشّريف عرج بالرّسول صلى الله عليه وسلم إلى السّماء فأنارت له السّماء وأشرق له السّحاب، وقد شهد القرآن على ذلك، قال تعالى في سورة الإسراء الآية 01: **﴿**  **﴾** ، ويربط الشّاعر بين المسجد الأقصى والمسجد الحرام في كثير من الصّور باعتبارهما من المساجد التي تُشدُّ إليها الرّحال فقد روي عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «لا تُشدّ الرّحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى».([[51]](#footnote-51))

وفي قصيدة "يا قدسُ" يسلّط العشماوي الضّوء على هذه الوشائج، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| الآل مكة، والمهاجر طيبة شيم العروبة تلتقي بعقيدة للقدس عمق في مشاعر أرضنا شهدت به آثار هاجر حينما شهدت به البطحاء وهي ترى الثّرى ودعاء إبراهيم ينشر عطره هذي الوشائج بين مهبط وحْينا هو قبلة أولى لأمّتنا التي |  | والقدس روض عراقة فينان فيفيض منها البذل والإحسان شهدت به الآكام والكثبان أصغت لصوت رضيعها الأكوان يهتزُّ حتى سالت الخلجان في الخافقين، وقلبه اطمئنان والمسجد الأقصى هي العنوان ختمت بِدِين نبيها الأديان([[52]](#footnote-52)) ط |

وإذا كان ارتباط المسجد الأقصى بالمسجد الحرام وثيقا فإنّ ارتباطه بمن رفع قواعد البيت الحرام أوثق، فقصّة إبراهيم (عليه السّلام) والسيّدة هاجر وابنهما إسماعيل (عليهم السّلام) دليل واضح على هذا الارتباط، وكأنّ الشاعر يريد القول بسرده صور هذه القصّة أنّ الأقصى حقّ للمسلمين لأنّ أبا الأنبياء إبراهيم (عليه السّلام) لم يكن يهوديا ولا نصرانيا، يقول تعالى في سورة آل عمران، الآية 67 : **﴿ ﴾**، كما قال أيضا في سورة الحج الآية 78: **﴿**  **﴾** وعليه فإنّ ارتباط المسجد الأقصى بالمسجد الحرام والنّبي إبراهيم (عليه السّلام) والرّسول محـمد صلى الله عليم وسلّم إمام الأنبياء وخاتمهم دليل قاطع على أحقّية المسلمين بهذا المسجد وهي إشارة من الشّاعر أنّ لا خلاص للأقصى من اليهود إلّا بمنهج الإسلام

**3/المطلب الثاني: جرائم الاحتلال الصّهيوني**

دأب الاحتلال الصّهيوني على ممارسة كافة أنواع الجرائم ضدّ الشّعب الفلسطيني بشكل ممنهج، وذلك منذ ثلاثينيات القرن الماضي، وحتى أيامنا هذه أمام مرأى ومسمع كلّ الهيئات الدّولية التي تتواطأ بشكل أو بآخر مع هذا المحتل فأضحى الشّعب الفلسطيني عرضة لكافة أنواع الجرائم المادّية والمعنوية وهو يعاني وحيدا من ويلات القهر والتّمييز العنصري والتّهجير القسري عن الأرض والوطن، وهدم البيوت وملاحقة الأهالي والمقاومين والزّج بهم في السّجون دون أدنى مراعاة للمعاهدات الدّولية؛ فأضحت سجون الاحتلال تعجّ بالأسرى الفلسطينيين من كافة الأطياف والأعمار، كما واصل الاحتلال قضم المزيد من أراضي الضّفة الغربية وتقديمها للمستوطنين اليهود، وحوّل قطاع غزّة إلى سجن كبير فارضا أبشع حصار عرفه التّاريخ، ولم يتورّع عن شنّ الحروب على هذا القطاع ناهيك عن الغارات التي تتكرّر بشكل دوري، وما ينتج عنها من قتل وتدمير وتشريد، كما منع الغذاء والدّواء والمساعدات الدّولية عن سكّان القطاع إلَّا ما يصل على نطاق ضيّق جدّا.

لم تسلم مقدّسات الشّعب الفلسطيني من التّدمير والتّدنيس وعلى رأسها المسجد الأقصى الذي يتعرّض بشكل مستمرّ إلى اقتحام قطعان المستوطنين ناهيك عن الحفريات التي تهدّد وجوده من الأساس، وقد حرم الصّهاينة المقدسيين وغيرهم من الوصول إلى الحرم لأداء شعائرهم الدّينية، وقسموا المسجد تقسيما مكانيا وزمانيا كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

والمتأمّل لديوان "القدس أنت" يجد أنّ الشّاعر "العشماوي" قد سلّط الضّوء على هذه الجرائم المروّعة، وخصّص لها حيّزًا كبيرا ليصور بشاعتها وفظاعتها، وهو الذي يصف الكيان الصّهيوني بالعصابة حينما يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| رويدًا بني الإسلام فاللّيل حالك رويدًا فشذاذ اليهود عصابة |  | ولا قمر يبدو ولا دبران لهم جفوة في طبعهم وحران ([[53]](#footnote-53)) ط |

إنّ وصف الشّاعر لليهود بالعصابة وما يميّزها من غدرٍ وإرهاب وجبروت ليس من قبيل الصّدفة ولا المجاز، إذ تكفي الإشارة إلى أنّ الكيان الصُّهيوني قد اعتمد في بداية تكوينه على عصابات قامت بجرائم مروّعة ضدّ السّكّان الفلسطينيين، كما شكّلت النّواة الأولى لجيش الاحتلال؛ فقد بلغ عدد جنود الكيان الصهيوني مع بداية حرب 1948م أكثر من 70 ألف مقاتل يتوزّعون على عصابات (الهاغانا، والأرغون، وشتيرن، وغيرها)([[54]](#footnote-54)).

وفي صورة أخرى ينقل لنا الشّاعر حجم التّخاذل العربي أمام الجرائم المروّعة التي يقوم بها العدوّ الصّهيوني أمام شعب أعزل، فيقول في قصيدة "أين أنتم أيّها العرب":

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| على الأسرّة أنتم أيّها العرب على الأسرّة أنتم تنظرون إلى شاشاتكم لم تزل تروي لكم خبرًا عن ألف طفل يتيم في مدامعهم عن أسرة هدم الصّاروخ منزلها عن ألف ألف قتيل في مصارعهم شكرا لكم حيت تابعتم مجازرنا شارون أشعل نار الحرب فاحترقت |  | ونحن في وهج الأحداث نلتهبُ مأساة شعب بها الشّاشات تصطخب عن طفلة قُتلت عن ظالم يثب تساؤل أين منّا الأم أين الأب؟ فكلّ زاوية في الدّار تنتحبُ أدلّة لم يلامس قولها الكذبُ على الأثير وقد ضاقت بنا الكربُ جميع أوراق من قالوا ومن كتبوا ط |

ففي الأبيات السّابقة يشير "العشماوي" إلى أنّ ما يربط العرب بالقضية الفلسطينية هي شاشات التلفزيون التي يتابعونها وهم متكئون على أسرّتهم التي أضحت رمزا للهوان والانكسار، وقد استمرأوا تلك الصور التي تنقل لهم حجم الدّمار والخراب، كما تنقل لهم أشلاء الضّحايا وهي تتناثر في كلّ الأرجاء فأغلب قتلى العدوّ الصّهيوني من الأطفال والنّساء والشّيوخ، تلك الصّور لم تعد تؤثّر على من يشاهدها بأيّ حال من الأحوال، كما لم يعد شارون الذي أصبح رمزا للجريمة والإرهاب يؤثّر في شعور المتلقّين الذين ملّوا هذه الصّور ورغبوا في الانصراف عنها إلى غيرها من صور اللّهو والمجون.

والحقيقة أنّ تخاذل العرب منذ عام النّكبة إلى اليوم هو السّبب الحقيقي في هيمنة الاحتلال وتسلّطه على الفلسطينيين، فالعرب هم السّبب بشكل أو بآخر في التّمكين لهذا الكيان من البقاء طيلة هذه الفترة، فكيف لهذا السّرطان أن يتحدّى كلّ قوانين البقاء في أرض يحيط بها مجموعة من أعدائه إلّا بتواطؤ وتخاذل منهم.

وفي صورة أخرى أكبر وأوسع يربط الشّاعر جرائم العدوّ الصّهيوني بتواطؤ الأمّة الإسلامية جمعاء التي صرفت أنظارها عن القضية الفلسطينية إلى أمور أخرى فوقفت بذلك موقف العاجز الذّليل أمام الظّلم والجبروت، يقول الشّاعر في قصيدة "بيان من أشلاء طفل"([[55]](#footnote-55)):

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| آه منا آه يا شهر المحرّم آه من أحلامنا صارت سرابا آه من ألف قتيل وقتيل آه من دبابة تقتل طفلا آه من أمّتنا كيف استحالت آه منها تمنح الأعداء شهدا تطلب العدل من الباغي عليها |  | آه من عملاقنا كيف تقزم آه من صرح المروءات تهدّم من غظام في ربى الأقصى تهشّم آه من نار على الأحباب تضرم كفراش في لظى النّار تقحم وهي لا تشرب إلّا من كأس علقم وتنادي من إذا جاوب تمتم ط |

ففي المقطوعة السّابقة يكثر "العشماوي" من التّألّم على حال الأمّة قبل أن يصوّر جرائم العدوّ وكأنّه يريد القول أنّ نكبة الشّعب الفلسطيني نتاج مباشر لنكبة الأمّة التي تسبّبت في ضياع الأرض والعرض وتخاذلت في الدّفاع عن كرامتها فاستقوى بذلك العدوّ عليها وأذاقها آلام الخيبة و مرارة الهزيمة وهو يقتل الأطفال ويهدم البيوت ويعربد دون أن يجد من يصدُّه ويردعه، وقد تحوّل هذا الانكسار إلى تواطؤ في أحيان كثيرة، وقد عبّر "العشماوي" عن هذا التّواطؤ الذي يقترب من حدّ الخيانة في قصيدته "لا تيأسي":

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| اسأل "مها" عن أمّها كيف اختفت في ساعة دموية شهدت بها |  | في ليلة مهتوكة الأستار في أمّتي من ذلّة وصغار ط |

ليواصل بعد ذلك لموقف العرب المتخاذل من جرائم العدوّ فيقول في نفس القصيدة:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| غارات شداد اليهود رسالة كتبت هنالك في مصادرها التي بعثت إليك على بريد خيانة لو تسألين القدس عمّا أرسلوا وروى حكاية غافل متشاغل لو تسألين "حنين" عنها أخبرت وتحدّثت عن بائع مازال في لو يستطيع لباع كلّ دقيقة يا غزّة الأمل الكبير تكشّفت |  | غربية محمومة الأفكار تختال فيها شفرة الجزّار متكفّل برسالة الفجّار لروى حكاية مدفع ثرثار عن وجهك الباكي بلعب "قمار" عن مرسل ومراسل غدّار غمراته يرنو لدرهم شاري من عمره المشؤوم بالدّولار حجبٌ فباتت سجينة السّمسار([[56]](#footnote-56)) ط |

ومما يستوقفنا في هذه الأبيات تحوّل العرب من التّخاذل إلى التّآمر فهم من باع القضيّة أوّلا وأخيرًا، ولم نعتد منهم إلّا على بيانات الشّجب والتّنديد، فتحوّلت أفواههم إلى مدافع ثرثارة لا تسمن ولا تغني وإشارة الشّاعر إلى هذه المدافع يذكّرنا بالأسلحة الفاسدة التي استعملت في حربي 1948م و1967م والتي مكّنت العدوّ في المحصلة من ضمّ القدس وغزّة والجولان وسيناء.

يعد حصار غزّة وتشديد الخناق على أهلها من أبشع الجرائم التي يقترفها العدوّ الصّهيوني منذ 2007م إلى اليوم وأشنعها على الإطلاق؛ حيثُ فرض عليها طوقا بريا وبحريا وجويا، مما حوّل القطاع إلى أكبر سجن في الهواء، وقد حرم ما يقرب من مليوني نسمة من الغذاء والدّواء وحتّى مواد البناء إلّا في النّادر القليل، كل ذلك يجري أمام مرأى ومسمع العالم أجمع، ومما زاد في الطّين بلّة تواطؤ السّلطة في رام الله، ورفضها تحويل أجور العمّال في قطاع غزّة، كما تواطأت السّلطات المصرية في تشديد قبضة الحصار على الأهالي بإغلاقها معبر رفح بشكل شبه دائم مما حرمهم من السّفر طلبا للرّزق والعلاج والتّعليم، ومما زاد معاناة أهل القطاع تلك الغارات والحروب التي تشنّها قوات الاحتلال وطائراته بين الفينة والأخرى، وقد أثّر ذلك في حسّ الشّاعر "العشماوي" ليصوّر لنا هذا الوضع المزري في قصيدة "لا تيأسي" حين يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| في ليلة ليلاء باتت "غزّة" باتت يحاصرها الدّخان فما ترى وترى خيالا من وراء ركامها يمشي على الأشلاء مشية حانق من أنت يا هذا سؤال جامدٌ أنا مسلم يا قومي أستر عورتي أنا واحد من أسرة مدفونة أنا واحد من أهل غزّة في فمي |  | تحت اللّظى وقذائف الأخطار إلّا اختلاط دخانها بغبار لما دنا فجعت بمنظر عاري لم تخلُ من وهن بها وعثار في ليلة الترويع والإهدار لكن ردائي ضائع وإزاري تحت الثّرى المخلوط بالأحجار ذكر الإله ودعوة الأخيار ط |

في الأبيات السابقة يحدّثنا الشّاعر بلسان ناجٍ من قصف العدوّ وقد خرج من تحت الرّكام ليروي لنا حجم المأساة ووقعها في نفسه، ويحدّثنا في لهجة المستغيث الذي يشعر بالخذلان، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لا تسألوني إنّ في قلبي اللّظى هلاّ بحثتم في الرّكام فإنني أين الصّغار والسؤال مرارة أشلاؤهم صارت تضيء كأنجم أين النّساء روى الدّمار حكاية عن راحة مقبوضة تحت الثّرى يا ليلة سوداء أقفر ضمنها فكأنها الغول التي وصفوا لنا |  | مما جنى الباغي و ومض شرار ما عُدتُ أملك حيلتي وقراري فوق اللّسان فهل يجيب صغاري تحت الرّكام نقية الأنوار عن معصم وحقيبة وسوار فيها بقايا مسمع وخمار إلّا من الآلام والأكدار قسماتها في سالف الأخيار ط |

بلهجة مليئة بالحسرة والذّهول يروي لنا هذا النّاجي عن أطفال ونساء، وقد اختلطت أشلاؤهم ببقايا الرّكام والدّمار فقد أحالهم العدوّ في لحظة إلى مجرّد أرقام لعدد الضّحايا الذي يرتفع يوما بعد يوم ويصيب من عايش هذه الأحداث بالحيرة والذّهول وهم يرون أنفسهم فرادى وقلّة في مواجهة هذا العدوان الغاشم، والحقيقة أنّ قصيدة "لا تيأسي" تقترب من النّموذج المتكامل الذي يحوي جل موضوعات القضية الفلسطينية، فالشّاعر يتحدّث فيها عن القدس والمسجد الأقصى وجرائم العدو الصهيوني وما يفعله بأهل غزّة ليشير بعد ذلك إلى ضرورة الجهاد والمقاومة وهذا ما سنتحدّث عنه في المطلب الموالي:

**4/المطلب الثالث: الجهاد والمقاومة**

أدرك الفلسطينيون خطر الصهيونية الذي أحدق بهم، فكان لهم نشاط مبكّر في مواجهتها حين اشتبك الفلّاحون الفلسطينيون مع مجموعات المستوطنين فيما عدّ أول اشتباك مسلح سنة 1887م([[57]](#footnote-57))، وقاموا بتقديم عرائض للسّلطات العثمانية، كما نشطت الصّحف لبيان خطر المدّ الصّهيوني، وكان من أشهرها جريدتي الكرمل وفلسطين، واستمرّت هذه المواجهات في أشكالها المتعدّدة، وما لبثت أن تحوّلت إلى ثورات كان أشهرها: ثورة فلسطين الكبرى والتي بدأت من 1932م إلى 1939م على يد الحركة الجهادية بقيادة عز الدّين القسّام، وكذلك منظّمة الجهاد المقدّس بقيادة عبد القادر الحسيني وبإشراف سري للحاج أمين([[58]](#footnote-58)).

وقد عرفت فلسطين أعظم ثوراتها سنة 1936م على يد مجموعة قسامية بقيادة فرحات الصّعيدي([[59]](#footnote-59)).  
واجه العرب الكيان الصّهيوني في أربعة حروب 1948م، العدوان الثلاثي 1956م، يوليو1967م، حرب 1973م.

وكانت محصّلة كلّ هذه الحروب مجتمعة تخدم مصالح الكيان الصّهيوني نتيجة لأسباب واضحة وجلية لا داعي للحديث عنها لأنّ عنوانها الأبرز هو تقاعس وتخاذل العرب ولا سيما دول الطّوق عن أداء واجبهم مما حوّل الأراضي الفلسطينية إلى فريسة سهلة في يد العدوّ الذي فرض على الأرض سياسة من الوقائع التي كان يخلقها المرّة تلو الأخرى مما حوّل القضية الفلسطينية إلى قضية معقّدة عجز أصحابها عن صون مقدّساتهم وأراضيهم التي يلتهمها الصّهاينة كلّ يوم.

أولى "العشماوي" لموضوع الجهاد والمقاومة أهمّية بالغة في ديوانه "القدس أنت" باعتباره الوسيلة الوحيدة لاسترجاع الأرض والمقدّسات وتحقيق كرامة الإنسان وحرّيته، والحقيقة أنّ تجربة التّعامل مع الاحتلال الصّهيوني أثبتت مرارا أن لَّا سبيل لاسترجاع أراضينا ومقدّساتنا سوى الجهاد، وقد صوّر لنا "العشماوي" في قصيدة "بيان من أشلاء طفل" موقفا إنسانيا مؤثّرًا؛ حيث تودّع أمّ طفلها وهو يهمّ لملاقاة العدوّ، حيث يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لم تودّعه إلى الملعب حتى إنّما ودّعت الطّفل ليلقى لم يكن طفلا رعاه الله كلّا روّض الأحداث مشا وامتطاها |  | يحرز الفوز بالكأس يكرّم ربّه في ساحات الموت وينعم إنّه في منطق الأبطال ضيغم  حين لم يبصر شجاعا يتقدّم([[60]](#footnote-60)) ط |

تحمل الأبيات السابقة إشارة إلى تقاعس الأمّة التي شغلت نفسها بقضايا ثانوية عن قضية فلسطين، فقدّست أبطال الرّياضة، وجعلت منهم نموذجا يحتذى، في حين أهملت المقاومين المجاهدين ولم تترك لهم مكانا تحت الشّمس فلم يجد هؤلاء بدًّا من خوض المعركة منفردين لا يجدون سوى إمكانياتهم البسيطة، وقوّة إيمانهم وعزيمتهم وإصرارهم.

وفي عصرٍ سقطت فيه منظومة القيم، واستبدلت بأخرى لا مرجع لها حين خلت من الدّين والأخلاق، حملت النّساء الفلسطينيات على عاتقهنّ لواء التّضحية والجهاد، وقد صوّر "العشماوي" في نفس القصيدة السّابقة إحداهنّ وهي تقوم بعمليتها الاستشهادية، فقال:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فرأوا بنت ربيع العمر أقوى أعلنت أشلاءها فينا بيانا بلغت مالم يبلغه رجال حزمت بالنّار والبارود جيشا إنّه القهر رماها فاستحالت |  | من رجال آثروا الصّمت وأكرم واضحا أسمى من القول وأعظم سيفهم في نصرة الحقّ مثّلم هزّت الباغي به والله يرحم جذوة تعصف بالقول المرجّم([[61]](#footnote-61)) ط |

ممّا يبدو في الأبيات السّابقة أنّ القهر والظّلم والخذلان دوافع حرّكت فتاة في ربيع عمرها لتنسف نفسها لتحوّل جسمها بركانا من الغضب يصرخ في وجه الظالمين، ويعلن عن حجم الخيبة من موقف الأمّة والإنسانية جمعاء من فلسطين بعد أن تخلّو عنها إلى غير رجعة.

وفي قصيدة "أسرج شموخك يا بطل" نرى الشّاعر يوقظ الفلسطينيين، وينشر الوعي بينهم محرّضًا إياهم على الجهاد والمقاومة، كما يحثّهم على الوقوف في وجه العدوّ، وهذا نابع من مفهومه للشّعر فهو يراه رسالة قبل كل شيء، حيث يقول:

|  |  |
| --- | --- |
| مالي أراك وقفت كالشّمس التي  وقفت على باب الطّفل  واستسلمت للّيل حين طوى المعالم وانسدل  مالي أراك كسرت سيفك يا بطل  ووقفت مشدوها  كأنك لا تحسّ بما حصل  وكأنّ ما اقترف اليهود حكاية  تروى عن "الشّعرى" البعيدة أو "زحل" | أسرج شموخك يا بطل  مالي أراك لبست ثوب الوهم  في عصر بمنطقة احتفل  وخلعت ثوب الوعي  واستسلمت لليأس الذي يلد الملك  وغرقت في بحر الفضائيات  واستهواك تكسير المقل.([[62]](#footnote-62)) |

وعليه فإنّ "العشماوي" يجعل من شعره وقودا يشعل روح الجهاد والمقاومة بين صفوف الثائرين، كما فعل الصحابة من الشّعراء الأوائل في صدر الإسلام حين نافحوا بشعرهم في نشر الرّسالة، واتّخذوا منه منبرا إعلاميا ينشرون من خلاله الوعي ويبثّون الحماسة في جيل الصّحابة الأول.

وفي موقف آخر يشيد الشاعر بالبطولات التي يصنعها جيل الانتفاضة، فيقول:

|  |  |
| --- | --- |
| أسرج شموخك يا بطل  اخرج إلى الميدان فالحقد اليهودي اشتعل  وأعد لنا سير البطولات الأول  اخرج مثل الضحى هدفا  فإنك لن تفرّ من القدر | اخرج....  فأشلاء المجاهد قد أضاءت في ربوع المسجد الأقصى الحفر سلّم على الطفل الذي عرف الحجر  وعلى الفتى البطل الذي...  رفضت خطاه المنحدر.([[63]](#footnote-63)) |

في الأبيات السّابقة يتطرّق "العشماوي" إلى الطّفل الذي يقف وحيدا أمام أعتى الجيوش وأقوى الأسلحة، وهو لا عدّة لديه ولا عتاد سوى حجر صغير يعبّر به عن مدى سخطه تجاه المحتل، وقد عبّر الشّاعر مرارا عن مقاومة الحجر أو ما يعرف بالانتفاضة، وقد ميّزت هذه الظّاهرة القضية الفلسطينية دون غيرها من القضايا، والحقيقة أنَّ الانتفاضة كانت نتيجة لتحوّل الشّعب الفلسطيني إلى الإسلام، واعتباره منهجا أساسا يقود إلى التّحرير وذلك بعد فشل الإيديولوجيات الأخرى "يسارية، علمانية، وقومية" في استرجاع الأرض، وقد حدث هذا التّحوّل في ثمانينيات القرن الماضي([[64]](#footnote-64))، ثمّ ما لبثت مختلف الأطراف الفلسطينية أن تصارعت في ما بينها نتيجة هذا الانقسام.

إنّ المتأمّل في ديوان "القدس أنت" يجد أنّ "العشماوي" قد سلّط الضّوء على القضية الفلسطينية، حيث تناول مواضيع أهمّها: القدس والمسجد الأقصى، جرائم العدوّ الصّهيوني، الجهاد والانتفاضة والمقاومة، وهي بلا شكّ مواضيع أساسية كانت ولا تزال من أهمّ المميّزات التي شكّلت هذا الصّراع، في حين نلحظ غياب مواضيع أخرى قد تكون هامّة، مثل: موضوع الأسرى، وموضوع لاجئون الشّتات، وقد يكون الشّاعر قد تناولها في دواوين أو قصائد أخرى.

وتجدر الإشارة أنّه يتبادر إلى ذهن القارئ لديوان "القدس أنت" للوهلة الأولى أنّ "العشماوي" بجانب التزامه بالقضية الفلسطينية سيلتزم لامحالة بالقومية العربية، والحقيقة أنّ الالتزام القومي لا يوجد في هذا الدّيوان إلا بصور قليلة، وهذا لأسباب سنفصّل فيها لاحقا، وقد قال في قصيدة "نعم يا بني قومي":

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| بنوا قوة لما غفلنا وإنّما نعم نحن فرّطنا فلم نبن قوّة وتجري بها دبّابة عربية نعم نحن فرّطنا ففي قلب أمّتي |  | يجاوز قدر الغافلين زمان يحوم بها في قدسنا الطّيرانُ ويخرس منها للعدوّ لسان جراح لها في صدرها جيشان([[65]](#footnote-65)) ط |

والبيت الأخير يوضّح لنا ندرة الالتزام القومي في ديوان"القدس أنت" وذلك أنّ "العشماوي" يرى أنّ القومية جزء لا يتجزّأُ من الأمّة الإسلامية، وهذا الالتزام الأكبر والأهمّ.

وفي صورة أخرى يتناول القومية كجزء من الأمّة الإسلامية، حين يقول في قصيدة "نعم يا بني قومي":

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| كذكرنا بالغدر غزوة خندق ولوى يهود الغدر ما استنفرت لها أتو قوة عظمى فماتت بكيدها لنا يا بني الإسلام دين يدلّنا |  | وللبغي فيهما جذوة ودخان قريش ولا طارت لها غطفان وطارت على عزف الرّياح جفان على كلّ خيرٍ والكتاب بيانُ([[66]](#footnote-66)) ط |

ومن هنا فنظرة "العشماوي" إلى الأمّة الإسلامية باعتبارها أهمّ وأشمل من القومية العربية أثّرت بشكل أو بآخر في نظرته للقضية الفلسطينية، ونظرة الآخرين إليها، وهذا ما سنتناوله بالتّحليل في المبحث الثالث من هذا البحث.

**المبحث الثالث: طبيعة القضية الفلسطينية في ديوان "القدس أنت"**

**تمهيد**

**المطلب الأوّل: طبيعة القضية الفلسطينية**

**المطلب الثاني: نظرة الغرب واليهود للقضية الفلسطينية**

**المطلب الثالث: موقف "العشماوي" من السّلام**

**المطلب الرّابع: ربط الحاضر بالماضي**

**المطلب الخامس: الأمل في النصر واسترجاع الأرض**

**المبحث الثالث: طبيعة القضية الفلسطينية في ديوان "القدس أنت"**

بعد أن تناولنا مواضيع القضية الفلسطينية التي أثّرت في وجدان الشاعر وتحولت إلى صور شعرية جمالية، سنحاول التّعرّف على صورة القضيّة الفلسطينية وطبيعتها من خلال ديوان "القدس أنت" حين نحدّد طبيعة القضية وكيف براها الشّاعر ومواقفه من بعض مستجدّاتها الهامّة كما سنحلّل كيف يرى الآخرون هذا الصّراع من خلال الدّيوان.

**المطلب الأوّل: طبيعة القضية الفلسطينية**

يختلف الكثير في تحديد طبيعة الصّراع في الشرق الأوسط عموما وفي فلسطين المحتلّة خصوصا، فمنهم من يرى أنّ هذا الصّراع على أساس عرقي فيسمّيه بالصّراع العربي الإسرائيلي، أمّا بعضهم الآخر فيذهب إلى أنّ الصّراع يقوم على أساس عقدي ديني فيسمه بالصراع اليهودي الإسلامي، والحقيقة أنّ النّظرة إلى القضية الفلسطينية تختلف باختلاف الخلفيات الفكرية والإيديولوجية.

يقول "عبد الرحمن العشماوي" في قصيدة "أنا مسرى نبيّكم"، وهو يخاطب أمّته على لسان الأقصى:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا قلوب المليار مازلت أخشى إنّ سطرا في دفتر الكون يعني يا بني قومي لكم خير صرح ولكم منبع نقيّ تجلّى صوت أمجادكم ينادي أفيقوا |  | أن تموت الزّهور بين أكام عن مئات الأبراج والأهرام شامخ بين زمزم والمقام بين طه والحجر والأنعام لا يفلّ الحسام إلَّا الحسام([[67]](#footnote-67)) |

إنّ توجيه النّداء للأمّة الإسلامية وعلى لسان المسجد الأقصى بما لَه من مكانة مقدّسة في قلوب المسلمين يؤثّر على نظرة "العشماوي" إلى القضية الفلسطينية حيثُ يراها قضية عقدية بامتياز، كما أنّ استحضار المسجد الأقصى في كلّ قصائد الدّيوان –عدا قصيدة واحدة- يدلّ على استقرار الطّبيعة العقدية للقضية الفلسطينية لدى الشّاعر، كما ينظر "العشماوي" إلى اليهود بنظرة عقدية صرفة، فهو يراهم بمنظور الإسلام من خلال ما أخبر القرآن عنه، فيصوّرهم الشّاعر في هذه الأبيات من قصيدة "يا فارس الحجر الأشمّ"، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ضدّان في الدّنيا سلام عادل بين اليهود وبين نقض عهودهم سل ذلّة ضربت عليهم بعدما سل ذلك البحر الذي أضحى لهم سل قولهم اذهب وربّك قاتلا وبأيّ حق قتلوا رسل الهدى سل عن يهود بني النّضير وما خبوا سل جرح أمّتنا العميق أما لهم هم جوقة المكر اللّعين حياتهم |  | وطبيعة الباغي الذي يتهوّرُ نسب خيانتهم به تتجذّرُ كفروا بما شرع الإله وغيّروا رهوًا فلمّا جاوزوه تنكّروا ما بالهم نطقوا به واستكبروا وعلى شفير الموبقات تجمهروا وبني قريظة حين جاء المخبرُ في نزفه القاسي النّصيب الأوفر تبقى بلا معنى إذا لم يمكروا([[68]](#footnote-68)) ط |

ففي البيت الثّاني يذكر "العشماوي" أنّ اليهود ينقضون عهودهم ومواثيقهم باستمرار، كما أخبرنا القرآن عن ذلك في آيات عديدة من مثل قوله تعالى في سورة النّساء الآية 155،154: **﴿ ﴾**

وفي البيت الثالث يشير "العشماوي" إلى تنكّر اليهود بعد أن نجاهم الله من فرعون وجنوده، ثمّ ما لبثوا أن ارتدّوا على أدبارهم، لقوله تعالى في سورة الأعراف الآية 138،141: **﴿ ﴾**

ثمّ يواصل "العشماوي" في البيت الرّابع ليحدّثنا عن عصيان اليهود لأمر الله تعالى بدخولهم الأرض المقدّسة ورفضهم للقتال في سبيل الله، وطلبهم الغريب من موسى، كما يصوّرهم القرآن الكريم في سورة المائدة الآية 24، يقول تعالى: **﴿**  **﴾**

ولم يكف اليهود كلّ هذه الجرائم والآثام، فعمدوا إلى قتل أنبياء الله بغير حقّ، يقول تعالى في سورة البقرة الآية 61: **﴿ ﴾**

ويواصل "العشماوي" تأكيد أنّ المكر من طبائع اليهود حتّى يستحضر معاركهم مع الرّسول صلى الله عليه وسلم مستوحيًا ذلك من السيرة النّبوية فهو يعتمد عليها كما اعتمد على القرآن الكريم من قبل في فضح حقيقة اليهود، حيث يراهم بمنظار عقدي صرف.

ومهما تكن الأسس التي تبنى عليها النّظرة إلى القضية الفلسطينية سواء دينية أو عرقية فإنّ جوهر هذه القضيّة هو الإنسان قبل كلّ شيء، ذلك الإنسان الذي حُرم من أرضه وسلّط عليه أشدّ أنواع القهر والجبروت والتّمييز العنصري فلم يجد بدًّا من أن ينتفض ويقاوم ذلك المحتلّ ليحيى حياة الحرّية والكرامة، فالقضية الفلسطينية هي قضية إنسان بامتياز، يتبناها كلّ حرّ، بغضّ النّظر عن دينه وعرقه ولونه وانتمائه الإيديولوجي.

**المطلب الثاني: نظرة الغرب واليهود للقضية الفلسطينية**

إنّ المتتبّع لتطوّرات القضية الفلسطينية منذ ثلاثينيات القرن الماضي يلحظ تواطؤًا مريبًا من قبل الغرب الذي يؤيّد باستمرار الكيان الصّهيوني وينحاز معه في أغلب القضايا ضدّ الفلسطينيين، ومن هنا يحقّ أن نتساءل عن أسباب ودوافع هذا الانحياز، وإذا تأمّلنا الخلفيات والجذور الأولى للصّهيونية نجدها قد نشأت في أحضان المذهب البروتستانتي الذي يؤمن معتنقوه بالعهد القديم، فيرون أنّ لليهود حقّ مقدّسٌ في فلسطين باعتبارها وطن قومي لهم([[69]](#footnote-69)).

وعليه فإن اغتصاب فلسطين مؤامرة يهودية صهيونية صليبية بالتواطؤ مع الأنظمة الأوروبية إضافة إلى روسيا و أمريكا اللّذين يسيطران على مجلس الأمن و يوجهانه الوجهة التي يريدانها([[70]](#footnote-70))

وقد خاطب "العشماوي" في ديوان "القدس أنت" الغرب المنحاز ضدّ المسلمين والفلسطينيين بقوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أيّها السّائل عما اشتكى لا تسل عن جذوة أشعلها لا تسلني واسأل الغرب الذي ينقض العدل بحقّ النّقض في اِسأل الغرب الذي واجهنا قل له مهلا فقد بان لنا أنت للباغي يد ممدودة |  | من لظى الحزن الذي بين الضّلوع ظالم يقتل أزهار الرّبيع يأمر الليل بإطفاء الشّموع مجلس يعجز عمّا يستطيع منه قلب بالأباطيل ولوع فشل في نصرة الحق ذريع ليت شعري أين أخلاق يسوع([[71]](#footnote-71)) ط |

ففي الأبيات السابقة يسلّط "العشماوي" الضّوء على مجلس الأمن الذي فشل فشلا ذريعا أمام قوّة وجبروت المحتلّ، فقراراته وإن كانت في صالح الشّعب الفلسطيني تكون عرضة لحقّ النّقض تارة وغياب آلية لتنفيذها تارة أخرى، ثمّ يوجّه الشّاعر السّؤال يستنكر فيه على الغرب موقفه هذا مذكّرا إيّاه بأخلاق "المسيح" عليه السلام، و هنا اشارة إلى الطّبيعة العقدية لهذه القضيّة وحتى اليهود الصّهاينة، فقد ألبسوا مطامعهم في فلسطين ثوبًا عقديا لما للعقيدة من تأثير كبير، ولذلك زعموا هيكلهم تحت المسجد الأقصى، وبدأوا يحفرون تحت الأرض مما شكّل تهديدا حقيقيا للمدينة المقدّسة، وقد أشار "العشماوي" في قصيدته "أسرج شموخك يا بطل" إلى هذا الهيكل المزعوم:

|  |
| --- |
| سلّم على البيت الفلسطيني يسكنه الإباء  ويعلم الأبناء كيف يواجهون الأدعياء  ويعانقون الشّمس في كبد السّماء  ويكفّنون "الهيكل المزعوم" في ثوب الفناء  ويعلمون الفجر كيف تسير قافلة الضّياء([[72]](#footnote-72)) |

وبغضّ النّظر عن الخلفية العقدية والدّينية التي ينطلق منها اليهود، ومن تواطأ معهم من الغرب، فإنّ لكلا الطّرفين مصلحة في احتلال فلسطين؛ فاليهود يريدون وطنًا يجمعهم يحقق لهم مكاسب دينية واقتصادية، أمّا الغرب فيسعى إلى زرع كيان يتوسّط الأمّة الإسلامية ليقف حائلا دون وحدتها، مما يُبقي المسلمين أتباعًا للدّول الغربية، فتتحقّق المصلحة الدّينية والعقدية، والمصلحة الاقتصادية في آن واحد.

**المطلب الثالث: موقف "العشماوي" من السّلام**

بعد أن بذل الفلسطينيون الغالي والنّفيس ليسترجعوا أراضيهم وكرامتهم لاحت في الأفق صدمة سياسية عنيفة، كان لها الأثر في ما بعد على مجمل أحداث القضيّة الفلسطينية، وقد تمثّلت هذه الصّدمة في اتفاقية "أوسلو" التي وقّعتها منظّمة التّحرير الفلسطينية مع الكيان الصّهيوني سنة 1993م([[73]](#footnote-73))، بعد أن نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في جرّ كلّ البلاد العربية إلى مفاوضات مدريد سنة1991م، وهذه المفاوضات هي التي مهّدت لاتّفاقيات "أوسلو"([[74]](#footnote-74)) التي أحدثت انقسامات ما لبثت أن تحوّلت إلى خلافات وقطعية في صفوف الحركة الوطنية الفلسطينية، وقد انعكس هذا الخلاف على دول الجامعة العربية فيما بعد والتي تهافت بعض اعضائها على السلام مع الكيان الصهيوني منذ سنة 1946 حيث عقدت الحكومات العربية مؤتمر السلام الذي دعت اليه الحكومة البريطانية في لندن دون حضور ممثلي عن الشعب الفلسطيني.([[75]](#footnote-75))

وقد تأثّر "العشماوي" بهذه المفاوضات، حين أعلن موقفه الرّافض والمستنكر لهذه الصّفقة، وقد قال في قصيدة "أم عصام":

|  |  |
| --- | --- |
| قتل الليل على مذبح أنذال اليهود.  ومضى في لحظة خاطفة ما لا يعود.  كان هذا قبل أعوام وقبل السير في وحل السلام.  حين كانت عنكبوت الوهم في خوف فلم تنسج خيوطًا من ظلام.  مرّت الأيام وامتدّت أباطيل الظّلام. | فزعت أم عصام.  ما الذي يجري.  وضاع المركب المشؤوم في وسط الزّحام.  هم يريدون السّلام.  صرخت أمّ عصام.  ويلهم كيف يريدون سلاما من لئام.  ويلهم لن يجدوا في آخر الدّرب إلّا وخز السّهام.([[76]](#footnote-76)) |

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ "العشماوي" أعلن في هذه الأبيات رفضه الصّريح لهذه الاتّفاقيات، والمتأمّل في قصيدة "أمّ عصام" يجد هذه الاتّفاقيات تشكل جوهر القصيدة يتناول فيها الشّاعر ما قبلها وما بعدها في إشارة إلى خطورتها وأهمّيتها، وقد بشّر في هذه القصيدة الفلسطينيين بخيبة الأمل من عدو لا يرجى منه السّلام، ولم يقف "العشماوي" عند رفض هذه الاتّفاقيات بل وسم من وقّعها بالعمالة والخيانة حيث يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا فتاة حرّة ما وجدت أخذت غدرًا وبيعت جهرة ها هم الباعة قد سارو على ها هم الباعة في أيديهم ركبوا متن هواهم ومضوا اُنظري يا قدسُ في أشكالهم |  | فارسا يحمي جلال الخفر لبني صهيون بيع الغرر درب صهيون إلى المنحدر غصن زيتون كئيب المنظر يخفضون الرّأس للمستعمر أيّ فرق بينهم في الصّور([[77]](#footnote-77)) ط |

ففي الأبيات السّابقة يصف "العشماوي" السّاسة الفلسطينيين الذين وقّعوا اتّفاقيات السّلام بالباعة الذين ضيّعوا القضيّة، وخانوا شعبهم، فهم في رأيه كالصّهاينة المحتلّين سواء بسواء، ثمَّ انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الدّولة الفلسطينية فهي في رأيه دولة مشوّهة لم توجد إلَّا لخدمة العدوّ،مما حول الصراع في الشرق الأوسط من مسألة وجود الى مسألة حدود بعد أن ربط جل القادة العرب مسألة السلام بالرخاء الاقتصادي والاجتماعي، وقد قال "العشماوي" في نفس القصيدة السابقة:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| اُنظري يا قدس هذي دولة مالها كفّ ولا رجل ولا دولة في جيدها حبل الرّدى صنعت في مصنع الغرب فما أيُّها السّائل عمّا قد جرى لا تسل عن أمّة قد غرقت لا تسل عن فاعل تبصره كبر الوهم وقومي سافروا آه يا مركبة تائهة هل خلا الدّرب من السّاعي إلى |  | ولدت فاقدة للبصر مقلة تبصر وجه الخطر فتلت رمته من سقر هي من بكر ولا من مضر لا تسل عن طائر لم يطر في هوى بائعها والمشتري أنّما عن فاعل مستتر([[78]](#footnote-78)) في دروب الوهم أقسى سفر آه يا غصنًا حزين الثّمر نصرة الحقّ ودفع الضّرر ط |

والمتأمل لشؤون القضية الفلسطينية يجد أنّ السّلطة الفلسطينية التي تأسّست في أريحا يوم05/07/1994([[79]](#footnote-79))، وكان عمادها الشّرطة الفلسطينية التي أسّست عقيدتها على التنسيق الأمني مع الكيان الصّهيوني، ووقفت حائلا بينه وبين المقاومة الفلسطينية التي لوحق أفرادها ووضعوا في السّجون، وقد رأى "العشماوي" هذه الدولة الوظيفية التي هزّت صورة القضية الفلسطينية بأكملها، مما جعله والكثير من العرب والمسلمين يتبرّأون من هذه الدّولة المشبوهة و طالب "العشماوي" ممن كان طرفا في هذه الاتّفاقيات بالتّخلّي عنها، فقال في قصيدة "نعم يا بني قومي":

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أدير إلى حكّام قومي تحيّة ولاة أمور المسلمين عدوكم أقيموا على الإيمان بالله صرحكم لا غرو أن يسعى إلى الصّلح مسلم يصالح لا مستسلما لعدوّه ولا غافلا عمّا يحاك فربّما سؤالي الذي ينمو على ثغر أمّتي وكيف يراد السّلم ممن حديثُهم وكيف نُجيب الله يوم حسابه |  | وقولا به يتساقط الهذيان يطيب لديه "اللف والدّوران" فليس لغير المؤمنين أمان يقصد له عند الإله مكان ولا مضمرا أمرا عليه يُدانُ يكون لأفكار الرّدى لمعان أيرضي بأن يرعى السّلام "فلان" سباب ونقل كاذب ولعان إذا قال ما بال الأعزّة هانوا([[80]](#footnote-80)) ط |

وفي هذه الأبيات يذكر "العشماوي" الموقّعين لاتّفاقيات "أوسلو" يوم يعرضون على الله فيسألهم عن الأرض والمقدّسات وهم الذين قبلوا التّوقيع وهم أذلّة، ولم تحصل هذه الدّولة الوليدة إلَّا على صفة مراقب في هيئة الأمم المتّحدة، لكنّها بالمقابل فقدت كلّ شيء ولم تحصل على مزايا تستحقّ الذّكر فانهار معها مبدأ الأرض مقابل السّلام الذي رفعه العرب شعارا لهم منذ سنين.

**المطلب الرّابع: ربط الحاضر بالماضي**

تكتسب فلسطين أهمّية بالغة من خلال موقعها الجغرافي حيث تتوسّط ثلاث قارات؛ إذ تربط قارّتي آسيا وإفريقيا، ولها حدود بحرية مع قارة أوروبا بالإضافة إلى أهمّيتها التاريخية والحضارية، ويكفي أنّ العديد من المؤرّخين قد ذهبوا أنّ مدينة "أريحا" هي أقدم مدينة في التّاريخ([[81]](#footnote-81))،بالإضافة إلى أهمّية هذا الموقع الجغرافي فإنّ فلسطين أرض مقدّسة لجميع الأديان السّماوية، ففيها استقرّ سيّدنا "يعقوب" عليه السّلام، ومن بعده "داوود وسليمان" عليهما السّلام، وهي مهد "عيسى" عليه السّلام، وهي مسرى سيدنا محـمد صلى الله عليه وسلم ، وفيها المسجد الأقصى ثالث الحرمين وأولى القبلتين، فمن الطّبيعي أن تشكّل فلسطين جوهرا للصّراع منذ الأزل القديم.

والمتأمّل لديوان "القدس أنت" يلاحظ أنّ "العشماوي" قد أدرك هذا المعنى؛ إذ تتشكّل صورة القضية الفلسطينية لديه حين تنطلق من الحاضر ضاربة جذورها في عمق الماضي السّحيق، فالشّاعر يربط في ديوانه بين فلسطين الحاضر وفلسطين الماضي في حلّ القضايا والموضوعات، كما يربط بين فلسطين وبين غيرها من الحواضر والمدن العربية، فيقول في قصيدة "شاهد التّاريخ":

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أيّها النّاس أفيقوا واذكروا واذكروا بغداد وكيف احترقت واذكروا دورة أيّام الأسى واسألوا الأندلس المفقود عن |  | صورة ابن العلقمي الأشر حين كانت هجمات التّتر كيف ساقتنا إلى المنحدر طائر العزم الذي لم يطر([[82]](#footnote-82)) ط |

إنّ ربط الشّاعر بين فلسطين وبين مثيلاتها من الحواضر العربية كبغداد والأندلس لم يأت من قبيل الصّدفة، فالشّاعر يشير إلى أنّ ضياع فلسطين كان نتيجة حتمية لضياع بغداد والأندلس وما تمثّلان من رمزية في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية.

كما نجد ربط الحاضر بالماضي عندما تناول الشّاعر موضوع المسجد الأقصى حين ربط بينه وبين المسجد الحرام وقصّة سيّدنا "إبراهيم" وزوجه هاجر، وابنهما إسماعيل عليهم السّلام لقد ذكّرنا "العشماوي" مرارا أنّ المسجد الأقصى هو مسرى النبيّ محـمد صلى الله عليه وسلّم:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أيّها النّاس أنا مسجدكم مرّت الأحداث بي دامية |  | مسجد المسرى لخير البشر فأنا في وردها والصّدر([[83]](#footnote-83)) ط |

ثمّ يواصل "العشماوي" تصوير الأحداث التي مرّ بها المسجد الأقصى، فيقول في نفس القصيدة "شاهد التّاريخ":

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فلكم ذقت الأسى بعد الأسى يا لها من ظلمة حالكة ضاق لي الأرحب حتى خلتني |  | من خيانات الصّليب القذر سوّدت وجه المدى في نظري ط لن أذوق الصّفو بعد الكدر |

وبعد أن يروي "العشماوي" ما حدث للمسجد الأقصى على يد الصّليبيين يستحضر "صلاح الدّين الأيوبي" الذي حرّره وأعاده للإسلام والمسلمين، يقول "العشماوي" في نفس القصيدة:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وطواني البؤس حتى هزّني أرسل النّور إلى أروقتي ما صلاح الدّين إلّا فارس قادني والليل مسكوب على غسل الشّاطئ من أدرانه |  | ذلك الشّهم الأبيّ العبقري وبِغيث الحقّ روّى شجري شدّ من أزري وجلّى بصري ساحتي والموج لم ينحسر ورمى نحوي بأغلى الدّرر ط |

وبعد أن ذكر الشّاعرُ "صلاح الدّين الأيوبي" واسترجاعه المسجد الأقصى يعود إلى الحاضر ويذكر معاناة أولى القبلتين على يد اليهود والصّهاينة، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وأراني بسمة مشرقة ليت أيامي هنا قد وقفت ليتها لكنّها أمنية وعد بلفور الذي صيّرني أيّها النّاس أفيقوا وارحموا ما يهود الغدر إلّا أنفس لم أزل أشرب كأسا مرّة سلبوني نعمة الأمن التي زرعوا هيكلهم قنبلة |  | وصفاء في جبين القمر عند رمح الفارس المنتصر قتلتها غدرة من غدر كسبايا الفرس عند الخزر  أملا في قلبي المنتصر  غمست في حقدها المستعر من رزاياهم وأشكو ضجري حفظت قدري وصانت جوهري  فاحذروا من صوتها المنفجر([[84]](#footnote-84)) ط |

بعد أن تحرّر القدس من يد الصّليبيين وقع فريسة في يد اليهود الذين حوّلوا أمنه إلى خوف ودمار فأرجاؤه تئنّ من جرّاء الحفريات بحثا عن هيكلهم المزعوم، فالمسجد الأقصى إذًا يعاني من الدمار فضلا عمّا يعانيه من ممارسات الاحتلال.

إذا كان "العشماوي" قد ربط حاضر القدس بماضيها فقد قام بالشّيء نفسه حينما تحدّث عن جرائم اليهود وأفعالهم الشّنيعة، فقد ذكرهم في كثير من الأحيان بجرائمهم الضّاربة في عمق التّاريخ، كرفضهم لدخول الأرض المقدّسة، واتّخاذهم العجل وقتلهم الأنبياء وجرائمهم مع الرّسول صلى الله عليه وسلم ممثّلا ما فعلوه في خيبر -كما ذكرنا سابقا – وهم الذين أنكروا نبوة محـمد صلى الله عليه وسلم وقد تحول هذا الانكار الى عقيدة راسخة لديهم و هي أصل كل الخلافات بينهم وبين غيرهم من المسلمين(2)، لتتحوّل جرائمهم اليوم إلى تشريد وقتل وطمس للمقدّسات وفرض لسياسة التّمييز بينهم، وبين الشّعب الفلسطيني، وكأنّ جرائمهم اليوم هي نتاج مؤامراتهم ودسائسهم التي أحاكوها منذ الزّمن الغابر.

ويتجلّى ربط الحاضر بالماضي في صورة أوضح حينما يتناول "العشماوي" موضوع المقاومة والجهاد في قصيدة "من جعفر الطّيّار إلى نصر جرار"؛ حيث يبدأ هذه القصيدة بتساؤل جعفر الطّيّار الذي استشهد في غزوة مؤتة عن سرّ النّور الذي يضيء الأرض في مشهد أقرب إلى السريالية:

|  |  |
| --- | --- |
| ما هذا النّور السّاطع. ما هذا النّور  ما هذا النّور السّاطع يا عين الزّمن الآتي  من أين تدفّق...كيف تألّق حتى أصبح يسرق نظراتي  ويجرك ساكن نبضاتي  ويجمع شارد خطراتي  من أيّ جهات المشرق أشرق هذا النّور | ولماذا أشعر أنّ الأرض تدور  وأرى الأعوام تضيق مساحاتها  فكما الأعوام شهور  ولماذا أشعر أنّ التّاريخ تلملم حتى ...  أصح كلمات في بضع سطور ([[85]](#footnote-85))  ما هذا النّور السّاطع. ما هذا النّور. |

وبعد أن صوّر "العشماوي" حيرة جعفر الطّيّار يبدأ في سرد أحداث غزوة "مؤتة" وصمود بطلها وإصراره على تحقيق الشّهادة أو النّصر، فيقول:

|  |
| --- |
| من أنت... وثار الإعصار.  من أنت.  و"مؤتة" تشهد أنّ كؤوس الموت تدار.  الرّاية عندي الآن فلا عاش الكفّار.  جيش جرّار.  يزحف بالرّمل والأحجار.([[86]](#footnote-86)) |

ثمّ يمضي في سرد التّفاصيل الأكثر دقّة:

|  |
| --- |
| الرّاية عندي الآن فلا عاش الكفّار.  اليمنى بُترت "يا ستّار".  لا بأس... ستحملها اليسرى فأنا المغوار.  اليسرى بُترت "يا ستّار".  لا بأس... ستحملها اليسرى فأنا المغوار.([[87]](#footnote-87)) |

وأخيرا ينتقل إلى تصوير حاضر فلسطين ومقاومة أهلها، ومن بينهم ناصر جرّار لظلم وجبروت الاحتلال وإصرارهم على تحقيق النّصر:

|  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- |
| مهلا يا جعفر لا تجزع النّور أتاك من الأقصى يا جعفر يا ابن أبي طالب النور أتاك من الأقصى من أمّ تشرب دمعتها |  | | فشموس بطولتنا تسطع ورماح عزائمنا تشرع  من شعب الهمّة والواجب وتجهّز زاد المحارب ط |
| يا جعفر الطّيّار النور تدفّق من الأشلاء فتى مغوار لا يخشى الأخطار. بتروا قدميه فطار... قطعوا يمناه فثار.  أنبت في موضع قدميه الإصرار.([[88]](#footnote-88)) | |

إنّ استدعاء "العشماوي" للماضي وتوظيفه بهذه الصورة، وربطه بالحاضر يؤشر على حتمية التاريخ، ما يعني أن الأخذ بجملة من الأسباب يؤدي حتما الى نتائج بعينها هذه الأسباب في نظر "العشماوي" هي مزيج من أسباب كونية و عقدية و هي تمثل منهجا متكاملا سار عليه النبي صلى الله عليه وسلم و من بعده، حتى وصلوا الى ما وصلوا اليه، و من ثم وجب علينا اليوم أن نسلك هذا المنهج لنتمكن من استرجاع الأرض و تحقيق النصر الذي طالما شكل الوصول اليه أملا لدى الشاعر و هذا ما سنتطرق اليه في المطلب الأخير من هذه المذكرة.

**6/المطلب الخامس: الأمل في النصر واسترجاع الأرض**

رغم المؤامرات و الدسائس التي تتعرض لها القضية الفلسطينية بهدف تصفيتها بدءا من التخاذل العربي في الدفاع عن فلسطين ثم فصلها عن محيطها القومي العربي واستبداله هو الآخر بالوطنية القطرية([[89]](#footnote-89))، بدلا من الانتماء الأكبر وهو الانتماء الاسلامي ووصولا الى عقد معاهدات السلام مع الكيان الصهيوني و اقامة علاقات سياسية و اقتصادية طبيعية ودافئة وذلك ما يعرف بالتطبيع، رغم كل ذلك لا يزال يلوح في الأفق بارقة أمل مصدرها صمود الشعب الفلسطيني الذي يدفع من دمه حتى الآن محاولا الخلاص من هذه الأوضاع.

وقد أدرك العشماوي هذه المعاني فأنكر التخاذل العربي ودعا إلى القطيعة مع الكيان الصهيوني ومقاومته منكرا هرولة بعض الدول العربية الى السلام والتطبيع وطالب بإعادة تشكيل الوعي العربي وذلك بضم فلسطين إلى محيطها الطبيعي وهو العالم الاسلامي.

والمتأمل لديوان "القدس أنت" يلاحظ أن العشماوي يعتقد اعتقادا راسخا بالنصر واسترجاع الأرض ويكفي أن نشير إلى أن أول قصيدة يتضمنها ديوان "القدس أنت" تحمل عنوان "إشراقة أمل" وقد شكل الايمان بالنصر جوهر هذه القصيدة لأنه يرتبط في جوهره بالعقيدة الاسلامية والوثوق في وعد الله كارتباط فلسطين بالأمة الاسلامية وهذا ما تشير اليه هذه الأبيات:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أقول لمن زلَّ الطريق بخطوهِ سيمنحنا وجهُ الهلال استدارةٌ ستورِقُ أشجار الوفاء وترتمي ستخصبُ أرضُ الحب منْ بعدِ جدْبها سنرقى ونرقى ثم نرقى، لأنَّنا لنا الكعبة الغراء والمسجد الذي لنا المسجد الأقصى وصخرته التي ثلاثةُ أقطابٍ تكامل حُسنُها وألَّفها وحيُ السَّماء على الهدى |  | ومَنْ عَزْمُهُ عندَ الخطوبِ يُذابُويفتحُ باباً في الظلامِ شِهابُقشورٌ، ويبقى للصَّبورِ لُبابُويُسْعفها بعدَ الجفافِ سحابٌتُحَكَّمُ فينا سنَّةٌ وكتابُ بناه الرسولُ المُجْتَبى وصِحابُ تحومُ قرودٌ حولها وذئابُ وعزَّ بها في العالمين جنابُ  ط فطابتْ لأصحاب اليقين وطابوا([[90]](#footnote-90)) |

### إن الأبيات السابقة تظهر الأمل و قد اقترن بالعقيدة ليتحول من ثَمّ إلى يقين بوعد الله مصداقا لقوله تعالى في سورة النّور الآية 55: ﴿ ﴾

كما يؤكّد العشماوي هذه المعاني في قصيدة "لا تقولوا" وكان قبل ذلك قد استعرض القضية الفلسطينية وما آلت اليه الأمة من نكبات وقد عربد العدو واغتصب الأرض والمقدسات إلا أن آخر هذه القصيدة حملت إشارة واضحة بقدوم النصر والوثوق في وعد الله يقول العشماوي:

لا تقولوا:

إنَّ شارون على الغرب اعتمدْ  
ومضى يحرق أَحلامَ العصافيرِ..  
ويستنزفُ خَيْراتِ البَلَدْ  
لا تقولوا:  
زرع الزارعُ والباغي حَصَدْ  
ذهب الأقصى وضاعت قدسُنا منّا وحيفانا ويافا وصَفَدْ  
لا تقولوا: حارس الثَّغْر رَقَدْ  
أنا لا أُنكر أنَّ البَغْيَ في الدُّنيا ظَهَرْ  
والضَّميرَ الحيَّ في دوَّامة العصر انْصَهَرْ  
أنا لا أُنكر أنَّ الوهمَ في عالمنا المسكون بالوهم انتشرْ  
غيرَ أنَّي لم أزلْ أحلف بالله الأحَدْ  
أنَّ نَصْرَ اللَّهِ آتٍ، وعدوَّ اللهِ لن يلقى من الله سَنَدْ  
لن ينال المعتدي ما يبتغي في القدسِ....  
ما دام لنا فيها وَلَدْ([[91]](#footnote-91)).

فالأبيات السابقة صورت لنا المأساة التي تتخبط فيها فلسطين وقد استعمل العشماوي أسلوب الاستفهام الإنكاري معبرا عن رفضه وسخطه تجاه هذه الأوضاع ثم ما يلبث أن ينتقل بنا إلى الأمل في النصر الذي جعله خاتمة هذه القصيدة فهو في نظره سيكون نهاية حتمية.

**خـاتـــمــــــة**

**خاتمة:**

على ضوء ما درسنا نستنتج ما يلي:

* خلفية العشماوي الدينية والاجتماعية جعلته ينظر إلى القضية الفلسطينية بمنظار عقدي خالص.
* أهم موضوعات القضية الفلسطينية التي صورها العشماوي في ديوان "القدس أنت" هي:
  + القدس والأقصى وقد شغل هذا الموضوع الحيز الأكبر من اهتمامات الشاعر نظرا لقدسيته ومكانته الدينية ونظرة الشاعر إلى القضية الفلسطينية من خلال هذا المنظار.
  + تناول العشماوي في ديوانه "القدس أنت" موضوعي جرائم العدو بأنواعها ومقاومة الشعب الفلسطيني لهذه الجرائم
* من الموضوعات الأساسية التي ارتبطت بالقضية الفلسطينية طويلا والتي غابت في هذا الديوان:
  + قضية الأسرى
  + قضية لاجئ الشتات
* غاب الالتزام القومي العربي في ديوان "القدس أنت"إلا في القليل النادر وهو لا يشكل ظاهرة بأي حال من الأحوال وذلك أن الشاعر يعتبر الأمة الإسلامية تشكل جوهر الانتماء.
* تميزت القضية الفلسطينية بطبيعتها العقدية لدى الشاعر ولدى كل الأطراف الأخرى وقد عبر العشماوي بكل وضوح عن مواقفه تجاه جملة من القضايا أبرزها موقفه من السلام ومن السلطة الفلسطينية.
* ربط العشماوي حين تناول كل موضوعات القضية الفلسطينية الحاضر بالماضي وهذا يدل على رسوخ واستقرار طبيعة هذه القضية وتصورها لديه.
* آمن العشماوي بتحقيق النصر مما شكل لديه أملا في استرجاع الأرض والمقدسات وقد تحول هذا الأمل إلى عقيدة راسخة.

إنّ هذا البحث درس ديوان "القدس أنت" دراسة موضوعاتية اهتمت بجانب المضمون دون الشكل وهذا ما يفتح آفاقًا لبحوث جديدة تقف على الشكل مبرزة الظواهر الجمالية لدى الشاعر العشماوي.

وفي الأخير تجدر الإشارة إلى أننا لم نتمكن من تحديد ورصد موقف العشماوي من التطورات الأخيرة بخصوص القضية الفلسطينية التي تتعلق بصفقة القرن التي تهدف إلى تصفيتها نهائيا.

**قائمة المصادر والمراجع**

**قائمة المصادر والمراجع:**

**القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

**المصادر:**

|  |
| --- |
| 1. ابن منظور، «**لسان العرب**»، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط2، 1992م**.** |
| 1. عبد الرحمن العشماوي، **القدس أنت**، ط2، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2007م. |
| 1. مفدي زكرياء، **اللهب المقدّس**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2007. | |

**المراجع:**

|  |
| --- |
| 1. أ.م. محسن جاسم، واحة الأدب، **ظاهرة التزام الشّاعر في الأدب الإسلامي**، مجلة ينابيع، العدد 25، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 1429 ه. 2. البخاري، **كتاب الأدب المفرد**، مكتبة الدليل، الجبيل الصناعية، المملكة العربية السعودية، ط 4، 1997، باب رحمة النّاس والبهائم. 3. **تعريف القدس ومعلومات تاريخية وجغرافية** راجع كتاب زبيدة –محـمد عطاء- عروبة القدس من واقع وثائق الأوقاف المقدسية –عين الدراسات و البحوث الانسانية والاجتماعية الهرم – مصر- الفصل: الوقف من الفتح الاسلامي للقدس الى نهاية الدولة الفاطمية باب القدس، ط1،2008. 4. جمال عبد الهادي محـمد مسعود **-أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ- الطريق الى بيت المقدس القضية الفلسطينية** الجزء الثاني –دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة ش.م.م، 1994م. 5. جون بول سارتر، **ما الأدب؟**، تر/محـمد غنيمي هلال، نهضة مصر، د ط، الفجالة، القاهرة، د س ن. 6. رجاء عيد، **فلسفة الالتزام في النّقد الأدبي**، نشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د ط، 1988. 7. سلامة موسى، **الأدب للشّعب**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2013م. 8. سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 32، 2003. 9. شكري عزيز الماضي، **في نظرية الأدب**، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993. 10. عائشة عبد الرّحمن، **قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1970م. 11. عز الدين إسماعيل، **الأسس الجمالية في النّقد العربي**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1992م. 12. عز الدّين إسماعيل، **الشّعر العربي المعاصر**، دار الفكر العربي، ط3، القاهرة، مصر، د س ن. 13. ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وأدبه**، دار الجيل، القاهرة، مصر، ط 5، 1981م. 14. فؤاد عمر علي البابلي، **الالتزام في شعر محـمد التهامي**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلاميةـ غزة، 2003ـ- 2004م. 15. محـمد محسن صالح ، **القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوّراتها المعاصرة**، مركز الزيتونة للدّراسات والاستشارات، بيروت، 2012م 16. محـمد مندور، **في الأدب والنّقد**، نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، 1988. 17. محـمد مورو، **القضية الفلسطينية من عبد الناصر الى السادات**، كتاب إلكتروني. |

**مواقع أنترنت:**

|  |
| --- |
| 1. **برنامج سر شبكة المجد الفضائية،** b3ir6a8lpsl/https:youtubeـ09/04/2020،22:47. 2. **برنامج سر شبكة المجد الفضائية**،yxtjmj81ty/https:youtube/ـ11/04/2020/21:09. 3. **مجلس الذوق الأدبي،** أمسية صناعة الأديب، لـد.عبد الرحمن بن صالح العشماوي، /https:youtube m269xhcgoyـ09/04/2020ـ22:33. |

|  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- |
| **الآية** | **السورة** | **الرقم** | **الصفحة** |
| **﴿**  **﴾** | الإسراء | 13 | 07 |
| **﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ٢٢٤ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ٢٢٥ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ** **إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ  بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾** | الشعراء | 224-227 | 11 |
| **﴿** **وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ** **﴾** | يونس | 99 | 12 |
| **﴿**  **﴾** | الإسراء | 01 | 26 |
| **﴿ ﴾** | آل عمران | 67 | 27 |
| **﴿**  **﴾** | الحج | 78 | 27 |
| **﴿ ﴾** | النساء | 154 – 155 | 41 |
| **﴿**  **﴾** | الأعراف | 138 - 141 | 41 |
| **﴿**  **﴾** | المائدة | 24 | 42 |
| **﴿ ﴾** | البقرة | 61 | 42 |
| **﴿**  **﴾** | النور | 55 | 54 |

**فهرس البحث**

|  |  |
| --- | --- |
| **الموضوع** | **الصفحة** |
| **الملخص** |  |
| **مقدمة** | (أ - ب) |
| **تمهيد** | 05 |
| **المبحث الأول: المبحث الأول: الالتزام** | 07 |
| **2/ المطلب الأول: تعريف الالتزام** | 07 |
| **3/ المطلب الثاني: الالتزام و النظريات النقدية** | 08 |
| **4/ المطلب الثالث: الإلزامُ والالتزام** | 09 |
| **5/ المطلب الرابع: الالتزام في الشّعر العربي** | 10 |
| **6/ المطلب الخامس: الالتزام و الإلزام في النّقد العربي** | 15 |
| **المبحث الثاني:القضية الفلسطينية و موضوعاتها في ديوان القدس أنت.** | 24 |
| **1/توطئة:** | 24 |
| **2/ المطلب الأول: القدس والمسجد الأقصى** | 25 |
| **3/ المطلب الثاني: جرائم الاحتلال الصّهيوني** | 28 |
| **4/ المطلب الثالث: الجهاد والمقاومة** | 33 |
| **المبحث الثالث: صورة القضية الفلسطينية في ديوان "القدس أنت"** | 40 |
| **2/ المطلب الأوّل: طبيعة القضية الفلسطينية** | 40 |
| **3/المطلب الثاني: نظرة الغرب واليهود للقضية الفلسطينية** | 42 |
| **4/ المطلب الثالث: موقف "العشماوي" من السّلام** | 44 |
| **5/ المطلب الرّابع: ربط الحاضر بالماضي** | 48 |
| **6/المطلب الخامس: الأمل في النصر واسترجاع الأرض** | 53 |
| **خاتمة** | 57 |
| **قائمة المصادر والمراجع** | 60 |
| **فهرس الآيات** | 62 |
| **فهرس البحث** | 64 |

1. () ينظر: جون بول سارتر، ما الأدب؟، تر/محـمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر ـ د طـ، الفجالة، القاهرة، د س ن، ص 09. [↑](#footnote-ref-1)
2. () ينظر: فؤاد عمر علي البابلي، الالتزام في شعر محـمد التهامي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2003ـ 2004م، ص19. [↑](#footnote-ref-2)
3. () ينظر: شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص126. [↑](#footnote-ref-3)
4. ()ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط2، 1992م**،** ص 195. [↑](#footnote-ref-4)
5. ()ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 32، 2003، ص:2577. [↑](#footnote-ref-5)
6. ()عز الدّين إسماعيل، الشّعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، ط3، القاهرة، مصر، د س ن، ص 373. [↑](#footnote-ref-6)
7. () م ن، ص374. [↑](#footnote-ref-7)
8. () م ن، ص378. [↑](#footnote-ref-8)
9. () ينظر: شكري عزيز الماضي، م س، ص:125. [↑](#footnote-ref-9)
10. ()م ن، ص ن. [↑](#footnote-ref-10)
11. () ينظر: م ن، ص:126. [↑](#footnote-ref-11)
12. () ينظر: م ن، ص:128. [↑](#footnote-ref-12)
13. () ينظر: جون بول سارتر، م س، ص:24. [↑](#footnote-ref-13)
14. () أ.م. محسن جاسم، ظاهرة التزام الشّاعر في الأدب الإسلامي، واحة الأدب، مجلة ينابيع، العدد 25، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 1429 ه، ص 52. [↑](#footnote-ref-14)
15. () رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النّقد الأدبي، نشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د ط، 1988، ص:155. [↑](#footnote-ref-15)
16. ()ينظر: عائشة عبد الرّحمن، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1970م، ص230. [↑](#footnote-ref-16)
17. () ينظر: شكري عزيز الماضي، م س، ص:123. [↑](#footnote-ref-17)
18. () ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدبه، دار الجيل، القاهرة، مصر، ط 5، 1981م، ص02. [↑](#footnote-ref-18)
19. () ينظر: عائشة عبد الرَّحمن، م س، ص 27. [↑](#footnote-ref-19)
20. () ينظر: ابن رشيق، م س، ص31،32. [↑](#footnote-ref-20)
21. () ينظر: فؤاد عمر علي البابلي، م س، ص:33. [↑](#footnote-ref-21)
22. () ينظر: سيد قطب، م س، ص،ص: 3046، 3048. [↑](#footnote-ref-22)
23. () ينظر: م ن، ص:3048. [↑](#footnote-ref-23)
24. () ينظر: م ن، ص ن. [↑](#footnote-ref-24)
25. () ينظر: عائشة عبد الرَّحمن، م س، ص:235. [↑](#footnote-ref-25)
26. () ينظر: فؤاد عمر علي البابلي، م س، ص:15. [↑](#footnote-ref-26)
27. () ينظر: عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1992، ص:309. [↑](#footnote-ref-27)
28. () ينظر: فؤاد عمر علي البابلي، م س، ص:38. [↑](#footnote-ref-28)
29. () مفدي زكرياء، اللهب المقدّس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، د ط، 2007، ص:53. [↑](#footnote-ref-29)
30. () ينظر: رجاء عيد، م س، ص:296. [↑](#footnote-ref-30)
31. () ينظر: عائشة عبد الرَّحمن، م س، ص،ص:243،245. [↑](#footnote-ref-31)
32. () ينظر: رجاء عيد، م ن، ص:296. [↑](#footnote-ref-32)
33. () سلامة موسى، الأدب للشّعب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2013م، ص،ص:07،08. [↑](#footnote-ref-33)
34. () ينظر: م ن، ص:09. [↑](#footnote-ref-34)
35. () رجاء عيد، م س، ص:04. [↑](#footnote-ref-35)
36. () محـمد مندور، في الأدب والنّقد، نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، 1988، ص،ص:31،32. [↑](#footnote-ref-36)
37. () عائشة عبد الرحمن، م س، ص،ص:233،236. [↑](#footnote-ref-37)
38. () م ن، ص،ص:240،241. [↑](#footnote-ref-38)
39. ()عبد الرحمن بن صالح العشماوي، من مواليد 1956م، بقرية عراء، بمنطقة الباحة جنوب المملكة العربية السّعودية، أبوه الشيخ صالح بن حسين العشماوي الذي نال شهادة العالمية من الأزهر ليعمل مدرّسا في الحرم المكي، وكان يلقي دروسا في الشّريعة والعقيدة وفي اللغة العربية وكان يقول بعضا من الشّعر، وأمّه سعدية بنت محـمد الغامدي، تلقّى عبد الرّحمن تعليمه بالباحة حتى المرحلة الثانوية لينتقل بعدها إلى كلّية الأدب بجامعة محـمد بن سعود الإسلامية، كان يقرض الشعر منذ صغره نظم في أحوال الأمة الإسلامية و في تاريخها، وفي عظمائها، وفي قضايا الخير والشّرّ، وفي أهوال يوم القيامة، له 38 ديوانا، من بينها: (إلى أمتي، صراع مع النّفس، بائعة الرّيحان، القدس أنت، شموخ في زمن الانكسار، إلى حواء، عندما يحزن الرّصاص، يا أمّة الإسلام، مشاهد من يوم القيامة، من القدس إلى سراييفو، قصائدُ إلى لبنان، ...)، وله إسهامات نثرية عديدة.

    ينظر: مجلس الذوق الأدبي، أمسية صناعة الأديب، لـ د.عبد الرحمن بن صالح العشماوي،/https:youtube m269xhcgoyـ09/04/2020 ـ 22:33. [↑](#footnote-ref-39)
40. () عبد الرحمن العشماوي، القدس أنت، ط2، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2007م، ص:156،157. [↑](#footnote-ref-40)
41. () ينظر: مجلس الذوق الأدبي، أمسية صناعة الأديب، لـ د.عبد الرحمن بن صالح العشماوي،/https:youtube m269xhcgoy.ـ مارس 2020. [↑](#footnote-ref-41)
42. ()ينظر: برنامج سر شبكة المجد الفضائية،yxtjmj81ty/youtube//ـhttps 11/04/2020 ـ 21:09. [↑](#footnote-ref-42)
43. ()البخاري، كتاب الأدب المفرد، باب رحمة الناس والبهائم (8/10) برقم (6011). [↑](#footnote-ref-43)
44. () ينظر: برنامج سر شبكة المجد الفضائية،b3ir6a8lpsl/ https:youtube ـ مارس 2020. [↑](#footnote-ref-44)
45. ()عائشة عبد الرحمن، م س،ص،ص:169،167. [↑](#footnote-ref-45)
46. () ينظر: برنامج سر شبكة المجد الفضائية،b3ir6a8lpsl/ https:youtube ـ أفريل2020. [↑](#footnote-ref-46)
47. () محـمد محسن صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوّراتها المعاصرة، مركز الزيتونة للدّراسات والاستشارات، بيروت، لبنان، 2012م، ص:09. [↑](#footnote-ref-47)
48. () رجاء عيد، م س، ص:299. [↑](#footnote-ref-48)
49. () تعريف القدس ومعلومات تاريخية وجغرافية راجع كتاب زبيدة –محـمد عطاء- عروبة القدس من واقع وثائق الأوقاف المقدسية، ط1،2008، –عين الدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية الهرم –، مصر، الفصل: الوقف من الفتح الاسلامي للقدس الى نهاية الدولة الفاطمية باب القدس. [↑](#footnote-ref-49)
50. () العشماوي، م س، ص:44. [↑](#footnote-ref-50)
51. () البخاري، الأدب المفرد، باب مسجد بيت المقدس برقم (1995). [↑](#footnote-ref-51)
52. () العشماوي، م س، ص،ص: 63،64. [↑](#footnote-ref-52)
53. () العشماوي، م س، ص:29. [↑](#footnote-ref-53)
54. () محـمد محسن صالح، م س، ص:43. [↑](#footnote-ref-54)
55. () العشماوي، م س، ص:199. [↑](#footnote-ref-55)
56. () العشماوي، م س، ص،ص:63،64. [↑](#footnote-ref-56)
57. () محـمد محسن صالح، م س، ص:30. [↑](#footnote-ref-57)
58. ()مـحمد محسن صالح، م س، ص،ص:47،51. [↑](#footnote-ref-58)
59. ()م ن، ص:51. [↑](#footnote-ref-59)
60. ()العشماوي، م س، ص:203. [↑](#footnote-ref-60)
61. () العشماوي، م س، ص:204. [↑](#footnote-ref-61)
62. () العشماوي، م س، ص:18. [↑](#footnote-ref-62)
63. () م ن، ص،ص:20،21. [↑](#footnote-ref-63)
64. () محـمد محسن صالح، م س، ص:98. [↑](#footnote-ref-64)
65. () العشماوي، م س، ص:26. [↑](#footnote-ref-65)
66. () م ن، ص:28. [↑](#footnote-ref-66)
67. () العشماوي، م س، ص:49. [↑](#footnote-ref-67)
68. ()العشماوي، م س، ص:49. [↑](#footnote-ref-68)
69. ()محـمد محسن صالح، م س، ص:24. [↑](#footnote-ref-69)
70. () ينظر: جمال عبد الهادي محـمد مسعود، -أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ- الطريق الى بيت المقدس القضية الفلسطينية، ج02–دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، المنصورة، ش.م.م، 1994، ص:12. [↑](#footnote-ref-70)
71. () العشماوي، م س، ص:110. [↑](#footnote-ref-71)
72. ()العشماوي، م س، ص22. [↑](#footnote-ref-72)
73. ()ينظر: محـمد محسن صالح، م س، ص:103. [↑](#footnote-ref-73)
74. () ينظر: م ن، الفصل الخامس، الباب الثالث، ص:112. [↑](#footnote-ref-74)
75. () ينظر: جمال عبد الهادي محـمد مسعود، م س، ص:12. [↑](#footnote-ref-75)
76. () العشماوي، م س، ص:106. [↑](#footnote-ref-76)
77. () العشماوي، م س، ص79. [↑](#footnote-ref-77)
78. () م ن، ص80. [↑](#footnote-ref-78)
79. () ينظر: محـمد محسن صالح، م س، ص:116. [↑](#footnote-ref-79)
80. () العشماوي، م س، ص30. [↑](#footnote-ref-80)
81. () ينظر: محـمد محسن صالح، م س، ص 09. [↑](#footnote-ref-81)
82. () العشماوي، م س، ص134. [↑](#footnote-ref-82)
83. () العشماوي، م س، ص134. [↑](#footnote-ref-83)
84. ()العشماوي، م س، ص136.

    (2)ينظر: إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الاعتماد مصر، د س ن، ص:122،123. [↑](#footnote-ref-84)
85. () العشماوي، م س، ص69. [↑](#footnote-ref-85)
86. () م ن، ص73. [↑](#footnote-ref-86)
87. () العشماوي، م س، ص73. [↑](#footnote-ref-87)
88. () م ن، ص73. [↑](#footnote-ref-88)
89. ()ينظر محـمد مورو، القضية الفلسطينية من عبد الناصر الى السادات، كتاب إلكتروني، ص44. [↑](#footnote-ref-89)
90. () العشماوي، م س، ص ص 06، 07. [↑](#footnote-ref-90)
91. () العشماوي، م س، ص 40. [↑](#footnote-ref-91)